

الحاجات

لا يجوز نشر هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من الأشكال أو نسخ مادته بطريقة الاسترجاع، أو نقله على أي نحو بطريقة إلكترونية أو بالتصوير أو ترجمته إلى أية لغة أخرى دون الحصول على موافقة الناشر والمؤلف مقدماً.

All Rights Reserved. No part of this publication may be reproduced, stored in a retrieval system, or transmitted, in any form or by any means, electronic, mechanical, photocopying, recording, or otherwise, without the prior written permission of Bibliomania Ltd.



❖ الكتاب: الحاجات

❖ المؤلف: أحمد صابر الزعبلوي

❖ نوع العمل: رواية

❖ الطبعة الأولى 1440 هـ - 2019 م - القاهرة

❖ الناشر: ببليومانيا للنشر والتوزيع - مصر

❖ رقم الإيداع : 2018/20774

❖ الترميم الدولي (ISBN): 978-977-6579-36-5

❖ تصميم الغلاف: فريق تصميم ببليومانيا

❖ المدير العام: جمال سليمان

❖ العنوان: عنوان (1): 9 شارع محلات السلام من عمر المختار أمام مستشفى الزيتون

التخصصي - الأميرية - القاهرة

عنوان (2): 38 شارع عمر المختار - الأميرية - القاهرة

❖ تليفاكس: 0020226061014

❖ محمول: 00201210826415 - 00201065534541 - 00201208868826

❖ صفحة الدار على موقع فيسبوك: <https://www.facebook.com/bibliomania.eg/>

❖ الموقع الإلكتروني: www.ebibliomania.com

كل ما ورد في هذا الكتاب من أخبار وأراء يعبر فقط عن رأي الكاتب، ولا يعبر بالضرورة عن رأي الناشر، ودون أدنى مسؤولية على دار ببليومانيا للنشر والتوزيع



+201065534541

+201208868826



fb.com/Books.Bibliomania



fb.com-bibliomania.eg



fb.com/books.bibliomania

ببليومانيا - Books

fb.com/groups/Bibliomania.Books



@BibliomaniaEg

الحاجات

رواية

أحمد صابر الزعبلأوي



رواية

الحاجات

رِوَايَةُ لُغْبَةٍ تَنْتَهِي بِمَا لَا يَتَجَاوَزُ وَقْتَهُ
بَدَايَاتٍ مَوْلُودَةٍ بِذِيُولٍ جَيِّدَةٍ

أحمد صابر الزعبلاني

قال لي:

أُكْتُبُ رواية،

/

فكَتَبْتُ!

عناوين كانت مقترحة للرواية مازال يمكن الاسترشاد بها:

١ - مَهْبِلُ الشَّطْرَنْجِ أو بطل شطرنج يبحث عن مهبل مناسب

١ - الوَطء

١ - الفَقْط

١ - رواية الواحد

لا لسببٍ إلا لأنني أخجل من إهداءٍ يستوجبُ مُهدًى إليه
ويجهزه به ولما يسميه هدية؛

لذا - قلت:

لا تبدأ الخطأ حتى تُنهي الصواب.

لا تبدأ الخطأ

حتى

تُنهي الصواب

وماذا تُفيدُ الروايةُ في عالمٍ، لا يُروى إلا بالدَّم، والعدَم

قبل ختام الجزء الأول من الشيء والواحد

أعرف من الحكايات ما يملأ أقصاها تسد أي ثقب أسود
بثقب أبيض منه. أحملها لا لحب السرد أو التسلية أو الوعظة،
لكنها تحملني فحسب..

مخطط الحاجات

(لا أعرف تحديدا. يصحو من النوم كل يوم، يفعل أشياء
ويقول أخرى، ثم ..)

يجب النهار. اعتاد المشي بجانبه ليوهم نفسه أنه ليس
وحيدا. ويوم سعه إذا عطست الشمس فانولد ظل يكمل
مجموعة صغيرة لها حميميتها واعتبارها وسط الوحدين وفرق
ألعاب القوى أو السيرك التي تستولي تقليديا على مسارح كل
شارع ينوي أن يزور أرضه قبل اختفاء يوم جديد قديم.

على يمينه الماء وبعض شجر. على يساره سيارات أطفال
كبار ملونة بصافرات لا تتوقف عن الصراخ إلا ليصرخ
قائدوها بأنفسهم في معارك شتى. الجو غبي كعادتهما معا،
والوقت يلعب فيه النهار مع الليل.

شعر بملل لازمه منذ زمن، فأخرج من جيبه علكة لفها
كتقليده في ورقة رُزنامة. أخذ العلكة وكاد يرمي الورقة. تذكر

أنه يُكتب في هامشها السفلي بعض العبارات التي قد تحمل حكمة أو كلمة ملهمة أو حتى طرفة تخفف عنه وطأة الطريق المندعس، وربما تقلل حنينه إلى الكلام، الذي كلما اشتد، عاد إلى استبضاع مقولات مأثورة عمن يحبهم ويقدرهم.

تناول العلكة وبدأ فمه يتذوقها، وبينما هو كذلك شرعت يده في استكشاف السر وفض مفاجأته. كان يقوم بأشياء مشابهة حينما يستشعر الكآبة تسفعه بذيلها من بعيد؛ يستعيد ذكريات، أو يحاول شغل نفسه بمتابعة ما يرد أمام عينيه بداعي تغذية بصره، وملء كيس الفراغ الصغير الذي ينتفخ معه تقليديا ليجاوز حجم المنطاد. فتح فمه يتمم ببعض هذه السوابق استعدادا لما قد يلقيه مدونا في قعر ابنة الرزنامة، لعلهُ فوراً أو بعد ذلك، يفك معضلة تعصره أو يخفف ألما يوخزه بضمير. فتح الورقة على مهل لئلا يفسد الهدية، رغم سأمه. فتحها جزءا جزءا ببطء شديد، كأنه يداعب فستان عروسه ليلة الزفاف، ويتحسس تدشين حياة الزوجية بسراديبها كافة، واختبار السرير الدافئ بنعومة. فتحها، وما لبث أن ضرب بعينه إلى أسفلها فما عاد يطيق أي انتظار آخر.. قرأ المكتوب:

«وقفة عيد الأضحى المبارك! كل عام والإخوة اليهود والمسيحيين والمسلمين بخير» ..

فجأة - عادةً - يعلم أن شخصا كان قد طلب صداقته عبر الفيس بوك، هو الآن ميت.. يدخل صفحته فيجده شابا متنورا بحق ومتساميا، فيشعر بالندم لأنه لم يُجِبْه قبل فوات. يحاول التكفير عن ذنبه. يشرع في البحث عن عائلة الصديق المفترض، يجدها وينخرط معهم في ذكرياته، وذكرياتهم. ويفكر في التقرب من صاحب الموت المجاوز عبر حياته التي ظنها ممتدة في شقيقته - (الحبيبة / الجميل) حتى يسقط فعلا..

هو، مازال يحلم ثم يتقلب فيصحو فزعا..

يحلم أنه يستقل طائرة يختار بها أعلى وأبعد نقطتين في الكون، ويحاول أن يمد بينهما خطا، ينجح في تحديد النقطة الأولى ويكابد من أجل تعيين الثانية.. يرى بعض الأعلام الصغيرة الغامضة وقد تعلق في منتصف الخط / الحبل، وكلما نظر إليها وضع نفسه مكانها فجأة فأصابه دوار، وشعر أنه يتهاوى من أعلى فأعلى، فيقفز فزعا من نومه. يشعر أنه تائه ثم يعود إلى النوم بأسرع ما صحا..

(قِطْعٌ من زمانِ المكان تلعب في بذور الوقت .

الطريقُ الخطأ إلى الصواب،

الخطأ إلى الصواب وغيره:

فضلاتُ الخَلْق أم الخالق!!

تابع بعض سطور عُثِرَ عليها واضحة إلى حد ما - صدفه -
في مفكرة الكاتب الضخمة، وقارئه..

كل شخص يود لو يعيش في زمان ومكان وظروف
تريحه. أعتقد أنني أجد راحة ليست بقليلة - مع، وفي،
وخارج وضد مفكرتي هذه، التي ما تفتأ تضيع مني!!

(١)

أَدْخَلَهَا بِيَدِهِ إِلَى سَرِيرِ الْقَبْرِ كَمَا اعْتَادَ جَلَبَ النَّوْمَ لَهَا مِنْ
فَوْقَ خَزَانَةِ الْمَلَابِسِ حِينَ كَانَ الْأَرْقُ ثَالِثَهُمَا بَعْدَ الْحَبِّ. أَدْخَلَهَا
الْقَبْرَ فَتَذَكَّرَ كَيْفَ عَاشَا سَعِيدَيْنِ مَعًا، حَقِيقَةً، وَمُكْتَفِيَيْنِ،
فِي حَيَاةٍ لَمْ يَتَوَقَّعَاها أَوْ ظَنُّهَا غَيْرُهُمَا بِكُلِّ هَذَا الشُّبْعِ النَّبِيلِ،
وَالسَّلَامِ الْأَصِيلِ. أَدْخَلَهَا الْقَبْرَ بَعْدَ أَنْ رَأَاهَا تَتَجَهَّزُ لِلْخُرُوجِ.
الدُّنْيَا مَطَاطٌ مُشْدُودٌ بِعَنَاقِيهِ، قَالَ. أَدْخَلَهَا الْقَبْرَ فَرَدَّدَ سَرًّا: أَنَا
أَيْضًا إِلَهٌ قَصِيرٌ، أَحْيِي وَأَمِيتُ عَلَى قَدَرٍ.. أَدْخَلَهَا الْقَبْرَ، فَرَأَى
الظَّلَامَ يُحْلِي مَكَانَهُ لِلْكَفَنِ، وَالْعِظَامَ تَحْدُدُ السَّقْفَ وَالْجُدْرَانَ،
وَالرَّمْلَ نَاعِمًا بِصَدَقٍ، وَالْمَسَاحَةَ لَيْسَتْ بِسَيِّئَةٍ، وَالْهَوَاءَ دَافِئًا أَوْ
هَادِئًا - لَا يَسْتَطِيعُ الْجُزْمُ - رَغْمَ أَنْ الْجَوْ شَتَاءَ، وَالنَّهَارُ غَرِيبٌ،
وَاللَّيْلُ يَبْدُو بَعِيدًا، لَكِنْ قَرِيبٌ.

(٢)

أعاد ترتيب البيت. نقل مكتبه من غرفة على الأطراف إلى غرفة مائدة الطعام ذات الموقع الحيوي التي لم يكن يستخدمها، فهو إذا جاع - فتح البراد وتناول أكلا سريعا وظيفيا وفقط. رغب في أن يلي باب الشقة. منفذ الدخول الذي هو نقطة الخروج. خطوة أو خطوتين يدخل ومثلها بالضبط يخرج. لمجرد أن فعل هذا ماتت غرفة المكتب الأولى بسهولة. موجودة وليست موجودة. لا فائدة منها، حتى لو استمرت أو باتت مخزنا لغير المستعملات. أيكون هو أيضا صار مجرد مخزن. قبو.. يااااه. الموت يأتي بهذه البساطة، وكذلك الحياة.

- نعم، الناس طيبون. مجرد أن تكتب شيئا يبحثون له عن معنى حتى إن لم يكن.

(٣)

كيف أكتب رواية ليست رواية لكن رواية. مجرد تنضيدٍ
لُبعْثَرَاتٍ وَإِنْ نَظَمَهَا سِلْكٌ حَرِيرِي أَوْ حَدِيدِي. أرجو أن
تكون حقيقة حقيقية. طبيعة طبيعية. زرافة خيالية. واقعية.
لا حقيقية لا طبيعية لا خيالية. أو بالأحرى ما بعد حقيقية
ما بعد طبيعية ما بعد خيالية. أو حتى ما قبل ذلك كله.
تعترف بلا خشية. تصدق بلا تحفظ. قول قائل فعلي وفعل
فاعل مباشر. تعمل واجبها في الكاتب والقاريء والسامع،
ولا يشوبُ تأثيرها الذي لم أحده حتى الآن أيُّ تقصير. لكن،
ماذا لو اعترأها نقص؟ ما الذي سيضيرني مثلاً أو يضرها. إذا
كانت انعكاساً لي فالنقص سَمْتُ. وإذا لم تكن أي ظل لأدنى
انعكاس فالنقص ليس دائماً عيباً خاصة لو كان غير مُتَعَمِّد.
حتى لو كان متعمداً، فهل تَعَمُّدُ الكمالِ ضمانٌ لُبُلُوغِهِ. هل
تَقَصُّدُ أي شيء حافظٌ مِنْ إِفلاتِهِ أو فَوَاتِهِ. أعتقد الآن في أنه
آن الأوان.

(المهم شبكة العلاقات والصراع الحامي طبعاً !!)

الحكايات تنتهي . لا ، لا تنتهي . تختفي . لا ، لا تختفي . نحكي
أم نعيش . ولم شيء مقابل شيء ؟

إذن، وبعد كل ما حصل، لم يتبه جيمس أنه يكتب، إلا بعد
أن قفزت القطعة على الكيورد فضغطت كم زرّ معاً لا يدري
لكن النتيجة هي التي تهم . واو . أعجب بنفسه . وبالقدر ذاته
انزعج من حركة القطعة فارتعد لفكرة أن ربما لم يحفظ ما أدرك
بعد أن كان يكتبه تقريباً منذ اليوم الثاني لفظامه، أو الأول
على ميلاده؛ إذ الفترة السابقة على هذا ما انفكّ يضرب أكباد
الإبل والخيول والسموات والأراضين في سبيل ثني أمه عن
الإشاحة بثدييها..

أمي . صرخ فحَبَا . وصل إلى سريرها وهي مسجاة في سلام
أربعه . يداها امتدتا إلى رصيفي وجهه فهدأ . ثم ، أفاق .

هل لا .

إنها مازالت

هي ٤٤٤

أنا أعرف تماماً وقادر على التحكم في كل شيء . إن ما حدث
لا يعدو قفص حبكة جيدة قد تأتي مصادفة مع أي أحد .

ولكن، لست أنا. لست أنا. هاه. ردها بصوت مرتجف،
رغم طبقات الثقة التي كانت تدهن وجهه الشاحب.

سحبَ نفساً من صدره الضاري. كاد يحتضر. شغله أثيرُ
الوقت، وأثره. لا منطقيتُهُ وسيولتُهُ الفضة، بل وتلذذُ الوقت
ذاته - في رأيه - بالانفلات. قال أشربُ قهوة. وأدخن. قام إلى
المطبخ الذي صممه ليكون منفصلاً عن بقية بيته. وجد كل
شيء في مكانه إلا البن. يوووووه. فتح الثلاجة فتناول مشروباً
ليهديء من روعه قليلاً. توتر ثانية. طيب، هل سأكمل؟
وكيف. ربما أكتفي بما فعلتُ. أريد فعلاً أي نسمة. أين أنتِ
يا مَنْ اسمُكِ الراحة، هههه. سخر باستخفاف ثقيل تماماً.
جرس الباب يحمل دائماً له قلقاً إضافياً. فاتورة الكتب. أنا
مِنْ دار سعادة للنشر والتوزيع. المبلغ: ألفان فحسب. دخل
ليحضر ما سيدفع فكان أن نسي مكان الفلوس، وما سيفعله
بها فيما بعد. جرس الباب ثانية. الباب مفتوح، مندوب
دار سعادة وراءه أوردرات أخرى، ولم توصه أمه على السيد
جيمس وحده. ولا حتى أبوه طبعاً.

الحاجات. أسميها الحاجات أم أترك الحاجات تسمي
مولودها بمزاجها فهذا حقها المكفول بحسب قوانين لست
أذكرها الآن. كان يحث نفسه على الحديث عالياً راثحاً غادياً
ومندوب دار سعادة متأفف من الهبل الذي ليس له فيه من

أي ناقة أو جمل، هههه. الأوردر حضرتك. نعم، آه، طبعاً
طبعاً. هل يمكن أن تأخذ جولة في المنطقة إلى أن أتصل بك
ثانية حالما يتسنى لي حل مشكلة غبية لا أريد أن أشغل بالك
بها. المندوب في مصعد البناية يلعن اليوم الذي بدأ فيه العمل
ويومَ وُلِدَ ويومَ يُكْمَلُ حَيًّا..

جيمس، ترك الباب مفتوحاً، وجلس على مهل في مكانه
المعتاد..

(٤)

أعلن التلفزيون الألماني صباح اليوم وفاتي أنا لودفيج فان
بيتهوفن إثر صراع مع الألم والوقت والظرف دام أكثر من سبع
وخمسين سنة.

يُذَكَّرُ أَنَّ الموسيقِيَّ العظيم قد توفي عن سبعة وخمسين عاما
قضاها كلها في خدمة القضية التي أوراقها مازالت منظورة،
ولم يتضح بَعْدُ ما الذي سيحدث في إرثه من النوتات والأفكار
والمواقف؛ فالفقيد لم يتخذ صاحبةً تربط بينهما وثائق معتمدة،
وبحسب مكتب الأمن الداخلي فهو لم يَلِدْ، كما يدور كلام آخر
أنه أيضا لم يُولَدْ.

ماذا، كيف؟ هكذا، ودون ذكر أي شيء عن الجنازة. اتصل
جيمس بصديقه عالم الرياضيات ليحسب معه كم من الوقت
يلزم لتجهيز الحاجات. بدأت الأمور تَبِين. الجنازة عسكرية.
وسوف تُنظَّمُ الفعالية سِرًّا، فكمُّ الموتورين والحاquدين والمنافقين

والجُهَّال وَمَنْ يَعْلَمُونَ وَمَنْ لَا يَعْلَمُونَ - الذين ربما يحضرون
أو لا يحضرون - قد يسبب كارثة في الخروج عما ينبغي للمقام.

لدى جيمس هواتف كثير من أصدقائه العاملين في وكالات
الأنباء العالمية. أراد أن يتأكد الخبر من مصدره. وبالفعل، كان
ما يخشاه.

(الأخيرة: عبارة في منتهى التقليدية والسذاجة، فليكن!
هههه)

(٥)

جلس ممسكا بمقلوب أفلاطون، وهي قطعة الكيك التي كان قد اخترعها مع حبيبته. ظل يحيل فيها عينا ويأخذ منها قضمة. هي مثلها مثل أي كيك آخر، أو أخرى، هههه. لوها سقراطي باهتٌ نسيًا، ولمَسُها عجينيًّا قليلا. أما مذاقها فمما لم يَسْمَعُهُ نَهم، أو خَطَرَ على أيِّ لُبٍّ..

الطعام مهما كان لذيذا هل يُرَقِّيه ذلك على غايته الوظيفية. تساءل هربا من مهمته الأساس.

جيمس، واحد ممكن كانوا في حرب الشائعات التي اشتعلت على الحدود بين أبوللو وديونيسوس. دوره انحسر في عدَّ أتباع كل طرف ممن يرغبون في العبور إلى الطرف المقابل بأي شكل أو ثمن.. ليلة، جاءته امرأة تبكي وبين ذراعيها طفل. سألتها: أهو ابنك. قالت لا. إنها وجدته على حافة النهر بينما كنت أفكر في قتل الصراصير التي أَلَفْتُ أوركسترا ما بعد

حدثني في معدتي. شكَّ جيمس في اللغة التي تتحدث بها. فهي على ما رأى واحدة عادية؛ فأنتى لها هذا الوصف بتلك الدقة والمباشرة. طالبها بجواز سفر فأخرجت له ثديها. عَلِمَ آنئذ أن الليل الطويل يوشك أن ينجلي. وأن ثقة القادة فيه على المحك، فيما إيمانه بقدراته يراوغه؛ بحيث لم يعد يعرف أصغير هو أم كبير بحق؟ أقادرُ على تحمل الحاجات أم أن قدره موضوع بإحكام في إصيص، إذا تَرَكَتُهُ يبدو ضُلبًا عنيذا عتيدا عفيا تليدا، وإذا رُحِتَ كسرتُهُ لَمْ يَفُهُ.

الكتاب الذي تحمله يده سقط بين أقدامهما الأربعة في نقطة تصلح لأن تكون مركزا رياضيا حقيقيا لمربع وهمي.. كان أن أرسل أبوللو عابداته لتعبئة العقل الواقع في صدورهن. أما ديونيسوس، فلم يكن حتى على دراية بخطورة موقفه؛ فبعض أجزاء القلب المتفرق ساخت في الأرض فأنبئت أسماء وصفاتٍ وحالاتٍ غُرسٍ حار معها خبراء البيولوجيا والإيكولوجيا حتى امتد صداها إلى معامل الأيديولوجيا، إلا أن الرحمة أمرت أبواب تلك المختبرات بالتزام مواعيد قاسية..

(٦)

الناس تحب الحكايات. وأنا لا. قال جيمس. ماذا أفعل
إذن بتلك الرواية؟ أو بالأحرى: ماذا سيفعلون؟
أَعْمَلُ مَا عَلَيَّ. أَكْتُبُ وَأُفَكِّرُ. أُفَكِّرُ وَأَكْتُبُ. أَعِيشُ ثُمَّ
أَمُوتُ. وَلْنَنْظُرُ.

هه. أقول لماذا يموت الإنسان؟ ناهيك بالطبع عن سؤال:
لماذا يعيش..

نشرت مجموعة كلاسيفاي تَوًّا عرض عمل لتعيين مشرف
على قسم الدُّمَى. اشترطت الشركة في المتقدم على الرابط المُرفق
أن يكون لديه خبرة لا تقل عن اثنتين وتسعين سنة في تنسيق
الأحداث؛ لذا، يفضل من كان محتلاً منصب رئيس جمهورية
أو على الأقل أمين عام للأمم المتحدة. المزايا: تأمين شامل.
حياة خالدة. سيارة. طائرة. فيلا دوبلكس بسائر مستلزمات
الرفاهية أعلى جبل المقطم أو كومباوند القروء أو مانهاتن

أو سو هو حسب تصنيفنا لك. ضمان كامل لوجدان الأمان
الوظيفي حال وقوع كارثة اقتصادية أو عسكرية أو ثقافية أو
سياسية أو عاطفية أو تفشي وباء عالمي..

قرر جيمس خوض التجربة. جهز ملفاته وتوكل على الله.
ثم اتصل بصديقه عالم الرياضيات الذي ينتظر جائزة العام
منذ قرنين ليحسب له احتمالات القبول والرفض. ولما جاءت
ساعة الحسم، اتصلت به المجموعة لإجراء مقابلة. وهو ما لم
يكن قد وضعه في اعتباره قط.

اسمي: ...

ما سألك!

بداية مربكة. طيب. فلأسكت حتى يطلبوا شيئاً. قاعة
دوارة مبطنة بحواجز صوت. على جدرانها عُلِّقَتْ تماثيلُ
الإيطالي جيوفاني لورينزو بيريني فنان القرن السابع عشر
الذي خَلَقَ أسلوبَ الباروك في النحت وهو مَنْ وُصِفَ بأن
منزلته توازي شكسبير وكلّ ما يمثله في فضاء الدراما.

المهم، أن الجالس في الوسط يرتدي عباءة تعج بنقوش
مدبية ومنحنية. لم يشغل باله بها. ما ركز عليه طريقة اعتلاء
العرش، وريش النعام الذي يؤدي في الأفق دوراً مروحياً..

بالعودة إلى الجالس في الوسط، نجد خلفه صورة «سيلفي» يظهر فيها ملاكه الحارس - بحسب مصدر رفض الكشف عن هويته. أما العباءة فلها جيوب فضية: كلما خلت امتلأت. وإذا امتلأت قالت هل من كل مزيد!

وجد جيمس كل هذه المعلومات - وسواها - وكأنها تُقذف في رأسه رغم أن لم يلج ذاك المكان فيما مضى حسب ما يتيقن تقريبا. ومع هذا أيضا، لم يكن واثقا في قدرته على مواجهة. أُقعد حيثما انتهى بك المجلس. قال الذي يبدو أنه الرجل الكبير..

جيمس «متوجسا» - اقترب واستقر.

* تعرف طبعاً ما الذي سنُعطيكَ، هاه، ماذا لنا في المقابل منك؟ ابتسم من داخل العباءة.

- كان لديّ فراغ عجيب حُرْتُ كثيرا في ملئه، إلى أن صادفت عرضكم فقادني شعور ببعض أمل. تردد جيمس وهو يبحث بانقطاع رغبة فيما يقول.

(V)

خلفت الحرب مزيدا من ضحايا لم يشاركوا فيها أصلا. بلّة
من شاركوا وندموا، فضلا عمن شاركوا ولم تكن لهم فرصة
لعرض الأنامل أو عد القنابل!!

حكى صديق موسيقي مرة أن كان في النية تنظيم حفل يرفه
عن الجنود. وعلى الهامش سيُختار أفضل عازف بين الحضور،
وأفضل استعداد لتلقي دروس موسيقى مجانية. انتشر الخبر
أسرع من أي قذيفة فجائية... كلهم يريدون الحفل، من
سيبقى معي. قالت الحرب.

باق النفير فبرز كثيرون كسيرون. الجمعة كانت للحفل،
أما الخصوم لما تناهى إليهم الصوت ظنوا على الأبواب
معركة. فضربوا. القاعة الرملية التي بلا حوائط أو مقاعد
باتت خاوية على عروشها، إلا أن الموسيقى النبيل ظل يشعر

هَبَّاتٍ مِنَ الْبَرْدِ تَحْرِقُ وَصَلَاتِ النِّيرَانِ الَّتِي تَعْتَادُهَا النُّفُوسُ
فِي مِثْلِ هَذِهِ الْأَنْوَاءِ.

أَتَكُونُ تِلْكَ أَرْوَاحَهُمْ. قَالَ الْمَوْسِيقِيُّ وَهُوَ يَسِيرُ مَعَ ظِلَالِ
كثِيفَةٍ يَكْشِفُهَا جِيدًا لَيْلٍ دَامَسَ مَغْمُوسٌ فِي دِخَانٍ وَغَيْومٍ.
ظِلَالٌ وَلَيْسَتْ أَشْبَاحًا. شَبَّهَ أَطْيَافٌ. فَهَمَّ الرِّسَالَةَ أَنْ مِنْ
وَاجِبِهِ تَطْوِيرَ آلِيَةٍ تَدْخُلُ بِهَا الْمَوْسِيقِيُّ فِي عَالَمٍ مَنْ لَا جَسَدَ لَهُ.
اتَّخَذَ سَاتِرًا، وَبَدَأَ يَعْمَلُ تَحْتَ الْقَصْفِ. الْجُومَلَاءُ، وَكُلُّ شَيْءٍ
تَامٍ، وَلَا يَنْقُصُهُ سِوَى تَنْظِيمِ الْأَرْوَاحِ أَمَامَهُ، إِذْ بَدَأَ لَهُ أَنْ رَبِّهَا
كَانَ عَدَدُهَا قَدْ تَخْطِئُ كَثِيرًا عَتَبَاتِ أَجْسَادِهَا.

(٨)

لقد خلقت في العالم الخطأ. أو أنا الخلق الخطأ! أو طبعاً
كلانا الخطأ.. نعم. هذا حل مُرضٍ تماماً لما يحدث. الواضح
أنني لن أنتهي من نهر اللذة إلا أن ينتهي هو أولاً. قال جيمس
وهو يزيد في الشراب أكثر مما اعتاد. هذا الماء السحري، له
القدرة على إذابة كل الحواجز والعوائق والحدود والعِلل!
بطبيعتي أمتلك تلك القدرة على رؤية الحاجات عارية
كما بدأت أو على أصل ما هي في كل وقت وفي كل مكان.
لدي كذلك القدرة على ربط المتناثرات بل نكز الخفايا حتى
تكشف عن ساقِها المُشعِرتَيْن فأميز جيداً بين ولد الغنم وولد
الله، فما بالك بما تفعله الخمر معي. خمر.. من أين جئت بتلك
القسوة، إنها جمر، يقلب في الجوف كل أمر، ويعدل المائل
وينضج الصغير على حجارة القصر.. ههه، ألم أقل إنها تعمل.
وبإخلاص، ههههه.

أسند جيمس رأسه إلى حائط، وعقد يديه على صدره. تنهد وهو يتردد ويترصّد ذكرى كلارا الحادة. آه. البرد لا يرحم. والقلب لا ينسى، ووسط كل ما أنا فيه، يحلو لطيفها العبثُ الأبيض - الذي يلون كل الأشياء حولي بما يشبهها، ولا يكاد يصيب من أثرها؛ رغم كل تلك السطوة المتغلغلة.

(٩)

لا أتوقع، بل بالأحرى، لا يتوقع أحد أن يرى نفسه مُشَرَّحَةً على طاولة هذه الرواية. بل قد لا يرى نفسه أصلاً، بل ربما لا يرى! ما أضمنه أن تكون مرآة صادقة لعبث العالم الفوضوي، وحكمة عادلة تتقافز تراوْحاً بين أكداس الظلم المأفونة. هذا بالطبع لا علاقة له بأن المرأة مهما كانت صادقة فهي لا تعكس غير صورة، إلا إذا كانوا اخترعوا مرآة ترى الأصل وتستنسخه. وإذا كان، كن مدركاً أن الأصل هو الشيء الأول والأخير من نفسه. كما أن هذا لا علاقة له كذلك بدرجة عدل أي حكمة - هي فحسب: حكمة، لم زج بها الكاتب إلى مأساة تحاول هي ذاتها أن تلطف من حرارة دموعها. نعم، أوليست متاهة حقيقية؛ هازلة وقاسية - أن تتحدث في الأصل عن:

«حكمة» ثم «عادلة» أو حتى عاقلة!! ههههه

إنه عالمٌ واحد. لا. كذب من قال ذلك. هنا عالم وهناك عالم. بل هنا عوالم وهناك عوالم. كل واحد عالم. كل شيء عالم. كل فكرة عالم. كل شعور عالم. كل حالة عالم. بعد ذلك إذا تتجمع هذه العناصرُ العوالمُ صارت خلقاً آخر لعوالم أخرى تماماً. ما تراه ليس ما تراه. ما تعيشه ربما. ما تسمعه ليس ما تسمعه. ما تحسه ليس كذلك. الرواية أم العيش!

أين الحقيقة وأين الوهم أو الخيال؟ الثقة هي ما يصنع ذلك أم الادعاء. الشك أم اليقين. المحاولة والسعي الجاد أم الصدفة. النظام أم الفوضى. الترتيب والمنطق أم العشوائية واللامنطق!!
المادة هل هي ما تبدو عليه أم ما أبديه لها ومنها وفيها؟ الروح والنفس والجسد. هل ثمة تقسيماتٌ أخرى. وهل تلك تزيد الكيان ثراءً أم فقراً. عمقا أم تشتتاً. كثرة الحاجات تُفاقمُ التنازع أم تُقلله.

الإنسان هل هو إنسان بحق أم حيوان أم جماد أم أدنى أم أعلى. السؤال فاتح أم غالق. الجواب راحة أم تعب. الرحلة أم الراحل. تصل، تتعثر أم تعبر. جواز أم مجاز؟ ولم أو. الحياة حياة أم موت. الموت موت أم حياة. الكل أو الجزء. الحركة أم السكون. التحول والصيرورة أم الثبات والاستقرار. الحب فعلاً أم كيمياء. الضرورة أم الرغبة أم المتاح أو الموجود أو المعدوم!!

(١٠)

الوصف. اللغة، لاسيما الألفاظ ومعجمها. الحدث الدراما المكان الزمان الشخصيات، الوحدة. السرد والفرد والحد والجرد، وكل ما لا ينفع بالطبع في الحر ولا في البرد، هههه. ماذا أنسى أيضا من مقادير الرواية المطبوخة. تاريخ، جغرافيا، أساطير، رموز، مشاعر،.. لا أعد أن روايتي ستمنح النكهة المتوقعة. قد لا تؤكل، بل ربما لا يُنظر إليها من البداية. وقد لا تُهضم إذا أُكِلَت. الكلام كلام. واللغة لغة. والفكر فكر، والحدث حدث. هل بيد كل الألسن أن تعبر حقيقة عن كلمة «آه» التي يقولها المتوجع بعد أن يشعر ألما بضمير أو عَرَصًا. الحب: كيف ستكتبه أو تكتب عنه. السعادة، الفرح، الحقيقة، الكره، الظلم، الوحدة، الوحشة، الأنس، كل هذا وأكثر يُخْرِجُ لسانه لكل لسانٍ ينبري ليُخْرِجَ من بين فكين أو أطراف أصابع سابك الذهب.

كل راوٍ يباهي نفسه والدنيا تَبَاعًا بها روى. نعم. وبعد.

تكتب رواية كي تقول ماذا حدث وقيل وأين ومتى وكيف ولماذا؟ مَنْ قَتَلَ مَنْ، ومن أَحَبَّ مَنْ، ومن كره ومن ظلم ومن تلصص على من ومن خان من، ومن نام مع من، ومن سافر إلى كذا، ومن التقى فلانًا، ومن حلم بمن وماذا؟ - (هذا طبعًا مع اتفاقنا أَنَّ اللغةَ جَوَازٌ وَمَجَازٌ وَلَا لُغَةٌ).

تسمع عن رواية، تقرأ رواية، حتى لو هُئِمْتَ بها فترة؛ ماذا سيحدث تاليًا. يقولون تشكل وعيك، وجدانك، لبنة في كيانك يا رجل، واعيًا بها أو لا واعيًا كنت، فهي هكذا أو هكذا تكون. موافق. هنئًا لك. ولكن مازلت لم تجب عن: وبعد؟! يقول الراوي والناقد إنها تخطفك، تذهب بك وتجيء، تضيف وتحذف وتفعل وتتستر وتتغلغل وتفسر وتُحسّر وتُيسّر وتُعسّر وتُكسّر وربما تزلزل. تجعلك تعيش الحالة وتنقل إليك عالما حيا أمامك تحيا معه وفيه وربما به. الوصف والتفاصيل والخيوط والخطوط والعوالق والمشائق والشراشف. الأسلوب والبناء وعناصر العناصر وعوامل العوامل ما ظهر منها وما بطن. أعتقد أنه مازال نقص ما. لا يقنعني هذا الكلام فيما أعرف وأستشعر. إنني أكتب وأقرأ وكل فعل منهما يبدو مكتملا في ذاته أو متكاملًا مع غيره أو مستحثًا لما يليه؛ في وقتٍ وظرفٍ ووضعٍ وموقفٍ ووقِعٍ وواقع. نعم، هو ليس

لأنها يا وإن كان غير معروف تحديدا معادلته وعمله: كيف وأين ومتى ولماذا ومن وما وهل؟ ..

الأغرب أن من كتبوا ذاتهم لم يشفع لهم في ذواتهم ما فعلته ذواتهم. أُحِبُّ نيتشه بالطبع، لكنه حين كتب «إنساني مفرط في إنسانيته» و«هكذا تكلم زرادشت» وغيرها، لم يحمه كل ذلك من الألم والوحدة والوحشة بل وكما كتبوا: حواف الجنون. شوبنهاور كذلك خاصة في «العالم إرادة وتمثلاً»، هيمنجواي، سالينجر، دوستوفسكي، وجيمس جويس، ونجيب محفوظ، وكاواباتا وماركيز ويوسا، وخوان مياس، وغيرهم كثيرون من الروائيين وكتاب السيناريو الذين أحبهم ويحبوني، كلهم كلهم، إما مرضوا أو انتحروا أو انزلوا أو ماتوا عادة دائماً أو أو أو أو. لا تصدق إذن ما يقال عن الاستشفاء بالكتابة ونجاعة الحروف فيما تحقق الأدوية!!

يقول الرواية تجعلك تعيش حيوات ترغبها وتفتقدها وتحلم بها أو لا تعلمها. وهل أنت عشت حياتك أنت. يرد: لهذا أقرأ وأكتب. لهذا ولذا، ووووو.. طيب!!! وإذا كان أصحابها لم يعيشوها، أو هم الذين عاشوها فعلاً ووجداناً، ماذا تعرف عنها يا مسكين؟ استقراءات بذيول جيدة، وتاريخ بلا جغرافيا الزمان. تكهنات وحسب!!؟

حتى ما يقال إن الروايات كعمل فني تصير العالم أجمل وأكثر احتمالاً وoooooooo- ماذا يعلو بها عن النسيان وعدم الاكتراث. أو الخمر، أو المخدرات، أو الحب أو الجنس أو الانغماس في أي شيء آخر.. يطلع لك ناقد يسبك إذا قلت هذا السبب بسيط هو أنك أوقفت حاله بذلك بل أنهيت لقمة عيش كثيرين؛ كتاب وصحفيين وروائيين ونقاد وناشرين وموزعين، ودعاية، ومنظمي مناسبات، ومُروّجي بَظَر الشهوات الاحتفالية..

ههه، أنا نفسي كنتُ بين حَدَّيْنِ حَدَّيْنِ بقسوةٍ لا تحتملها بِنَيْتِي الخليقة؛ إما لا أكتب الرواية قَطْعاً، وإما أن أظل أكتبها أبداً..

عادتي صغيراً، أنني أحببت كثيراً فقرة الساحر. أي ساحر. الرجل الذي يحقق ما يريد وما هو غير متوقع بحركة خفيفة ساحرة بحق وبلا عناء. ليتني كنت ساحراً. ليت الكتابة بلا عناء..

كذلك، لا أحب ما يحدث، فالواحدة لا تقرأ بنفسها، لكن بترشيح وتزكية وإعلان وتواطؤ على أن الرواية تحفة المتاحف وجميلة الجميلات، فتقول القارئة الجميلة: إذن فالجميلة آتية!!!!

الكتابة اختبارٌ موضوعٌ سلفاً ومصححٌ سابقاً، وما عليك سوى إجابة المتوقع والبلاء المنتظر. بنيةً كنظام العالم لها آلياتها العاملة وعناصرها الأساس والمساعدة، الفاعلة والباطلة، الشاغلة والمشغولة، ههه، وتلك الباعثة على الاتساق بل والانسحاق والانسحاق بدعوى هذا الاتساق ذي الرؤية الجامدة على قالب وقلب وعقل مُتَوَقَّع مُتَنَظَّرٍ ومتفقٍ عليه ومَرَضِيٍّ عليه وعنه ومدْعُوٌّ إليه ومحتَفَى به. الخطوات جاهزة، والحركة مستمرة. حتى ما يسمى بقفزات الإبداع - كلها تدور في سلك واحد أو أسلاك واحدة!!! اذهب مثلاً إلى جائزة؛ هي تضع الشروط، وأنت تطأطيء للمجد والفلوس. تمام. اذهب مثلاً إلى من يقولون لك اكتب حتى لا ننسى - وهل هذه الكتابة المعروفة بالرواية حقيقة تحفظ من النسيان والذهاب في الأرض مع كل ما يذهب ومن ينسرب. يقول انظر لما ترك الفراعنة، الآشوريون، البابليون، السومريون، الأكاديون، الفينيقيون، الإغريق، وكذا وكذا. نعم. ماذا؟ .. هل ما أقرؤه فعلاً ما حدث. كيف، هه. النقص بادٍ في أي محاولة للنقل المتطابق. النزاع الأبدي بين الذاتية والموضوعية. ما تَطْبَعُهُ وما يَنْطَبَعُ فيك ويَطْبَعُك.

الرواية يقولون تعطي تجربة، تمنح نماذج وحلولاً وأسئلة وإجابات ونوافذ وأبواباً ودروباً ومسالك ومسارب وأمثلة

وأنا طالتكون جاهزة حين الحاجة إلى استدعائها. ولم؟؟؟؟!!!!

الرواية يقولون هذا زمنها، وهي قادرة على استيعاب كل الأشياء والقوالب والحاجات. لماذا هي أكثر انتشارا الآن من الشعر والمسرح، والسينما أحيانا، ومن أشكال فنية أخرى؟ ..

الرواية هكذا توفر لرواد المقاهي والمجالس والمواقف حتى حكايات مناسبة لحكايات أخرى، ولنترك الحياة «الحياة» إذن. آه هي تنقل، ولكن ألا تشوه وتوهم وتنكص عن الواقع والحقيقة؟!

يقول يكفيك كلمة ملهمة وجملة رائعة وحدث محفز. طيب، وهل يكفي هذا فعلا ويستحق كل ذلك الجهد. هذا الإلهام ما أكثره بين الفطريين ومن لم يتعلموا ويتثقفوا فضلا عما تضطرم به الطبيعة أصلاً والكون سجيةً والكائنات على تنوعها والفكر على أوجهه والفن على سحره.

لا أحب أن أصل إلى نقطة ما الذي فعلته أعظم وأكمل وأفضل الروايات في هذا العالم وللعالم؟ فلهذا حديث آخر. أما لماذا أخوض في ذلك وأنا أولف روايتي، فأنا حر. وببساطة، لا أعرف.

(١١)

تُوفِّيتُ في يوم كان أغرب من سائر الأيام التي عشتها.
 إحساسي به لم يختلف عن سابقه وفي الوقت ذاته لا مثيل له.
 كنت مستعداً منذ ولادتي لهذا اليوم. تجهزتُ للرحيل بكامل
 هيئتي. أخذتُ وقتاً طويلاً في اختيار ملابسِي الداخلية ولا
 أعلم لماذا.

أعتقد أن أكثر ما افتقدته كان صديقي البرص الذي يعيش
 معي في البيت لكن ليس مثلي على المقاعد وإنما على الحوائط
 والأشياء الأخرى. كذلك تذكرت حلمي القديم بإنشاء
 مكتبة لإعارة المؤلفات الموسيقية مجاناً، والذي اكتشفت أن
 التكنولوجيا قضت عليه قطعاً.

قليل من الخمر يفرح قلب الإنسان. لكن لم. لا أحد حزن
 علي. ولا تذكّر. عادي جداً. لا يهمني. كما لم يحضر أحد جنازة
 لم تُقَم. ولا عزاء.

إبليس، يا صاحبي الغريب، حقق لي رجاء أخيراً بعد كل
ما تفضلت من كرم بذوق الداهية اللطيف. كنتُ أوصيتُ
زوجتي إذا متُّ فلتحرقني جثتي وتجمعي ما تبقى من رماد
لتفريقه في طريق لا تعرفينه - تسيرين فيه تائهة بسيارتك
الجميلة يا حبيبتي. قالت: لا تقل ذلك. كيف أفعل. لا. لن
تموت. أنا التي ستموت.

أرجوك يا صديقي. أرجوك.

(١٢)

يَرَى. لا يَرَى. لا يَرَى. لا يَرَى. لا يَرَى!

واضحٌ طبعًا. أولاً هو عاديٌّ في سيره تمامًا إلا أنه يُشعرُك
بشيءٍ ما. وجهٌ جميل، ملابس أنيقة، هالةٌ تحرسه وهو يمشي؛
رغم البادي أنه من يحرس رفيقه ويرصده بل يقوده.

الظلامُ حالٌ صحيح لكنني أرى.

قَطَعَ المسافة بين شارعِي البستان وشامليون كما لو يَحْفَظُ
أشبار التحرير (أو يُحَفِّظُهَا لِعَيِّلِ تائه)، وكأن ذرات التراب
تحدق في حذائه بإشارات بينهم فقط. توجيهٌ من بعد. نفحة.
كله ممكن. المسافة قليلة. الطريق قصير. وما ثار من أسئلة في
رأسي عما رأيت كثير جدا. لم؟

حدثٌ عاديٌّ تمامًا. في يد هذا الولد عصا. لم أوقن أهَيَّ
البيضاء في السواد الذي كان يحضننا. أم عصا ليست بيضاء (أو
ليست بيضاء تمامًا أو ليست بهذا الحد).

المهم. تتبعته وأنا أستمر في طرح أسئلتني الجميلة. سرْتُ
وراءهُ جيداً ولم أصل إلى أي شيء. تعثرتُ قليلاً إذ لم أكن أرى
بطبيعتي في النهار فما بالك بالليل يا سيدي. يعني. ظل عقلي
يقودني وراءهُ. ولم أصل لشيء.

تركته يسير ومن معه ويقوده ويكمل في ألق، وعدتُ أنا
بعد ملل غريب طغى على ما سبق من فضول. رجعتُ إلى
السور الحديدي - الأخضر. وضعتُ يدي عليه. كان لتوه
مدهوناً بطلاء عجيب. ولا شمس هنا. لعنتُ كل شيء، كل
شيء، ثم - لا شيء.

انشغلتُ في تنظيف يدي. أحاول العبور. صرخت بصوت
ابن كلب:

فراااغ. فراااغ. أففففف

لكن.. صحيح. أكان هذا الولد الجميل - ولداً، وجميلاً،
وأعمى، هاه. أين العدل في هذا ما الحكمة. ما المعنى ما
الغرض ما الداعي؟

ماذا يحدث؟ ماذا أقول؟ ماذا أرى ماذا يري ماذا ترى؟!!!!

[illegible]

(١٣)

القدر يلاعبنى شطرنج، وأنا بالكاد لا أعرف سوى أن
الرقعة أبيض في أسود، ثم اكتشفت لها ألوانا أخرى.

العالم ليس عاقلا. العالم ليس مجنونا. العالم؛ هو العالم: سياج
شائك يفصل بين مرأتين أو أكثر، يطلق الروايات من بين فخذه
ويظل يقهقه. كلب ذيله أعوج ويقنع المارين بأنه يُقَوِّىء. نعجة
الحكيم التي تعصر خمرا، وتتعجب من أنها حتى الآن لا تطير.

(أنت العالم

والعالم أنت

القلق: هو اندفاعك في التسلق - للتعلق. اشتباهك في
كل شيء. اعتمادك فن الموت لفهم الحياة، واهتمامك الجنوني
بالحاجات والأشياء والرغبات والتصور والصُّور/ وأنت لا
تبرح تسأل يائسا ما الاهتمام العاقل إذن؟

حين يأتي الظلام؛ حتى الشعراء أنفسهم يتركبون من ذرات، ويُقسِمُونَ: إن ما يكتبه الخالق في الصبح نقرؤه آخر النهار. أنا الإله الذي على القد.

درس إضافي:

فتح الجريدة وقرأ،

لا جئون لكننا: وطن القصيدة؛ وطننا: هو الرواية. كانت مراكب تُقَلَّبُ بنا في مياه البحر، والبحر قاسٍ كامرأةٍ لا تحب من قدم لها رأسه على طبق الفضة أو الذهب لا أتذكر. كانت بلاد ننشال من سجلاتها، وتضعنا على خوازيق حدودها؛ لتصنع منا لافتاتٍ مكتوبًا عليها :

إلى الخارج!

كانت بلادنا هي الثعبان الذي يُرَسَّمُ ملتفا حول كأس الصيدليات، وكنا نحن السم. كانت أقدامنا تروح ناحية الشمال؛ لتسأل أيدينا أين استقر المقام بها. كان اتضاعنا منسأة الغيم، وحواف السماء، ودرس البيانو الذي توقف بسبب الحرب الصماء.

كان المغنون بيننا، ثم فقدوا النوتات التي جفف بها عرقهم من احتاجوا إليها أكثر.

تغيرت أولوياتنا، حتى أن أسماءنا - لم تعد كما كانت.
صرنا.. كالنمل.. كالصراصير، كنقار الخشب، تمامًا كـ
(العاصمة) - عائمين على سطح براميل الرصاص، طافين
فوق تاريخنا، ننظر إلى أسفل الماء، وبالفعل نجد القشة هنا -
في يد الأخطبوط/ الغارق.

أغلق الجريدة،

واستأنف..

أحبَّ بنتًا. حملها على ظهره. طار بها العالم، وعلق في الممر
الأبيض - ببذلته السوداء. وجدهم يلعبون الدومينو. يقشرون
البطاطس، ثم يلقون بالحبة في سلة المهملات.

صوتٌ تَوَجَّعٍ أعاده إلى بداية الممر؛ ليصعد سلمًا آخر ألوانه
باهتة في البداية.

يقول الحكيم:

املاً كتابك بالصُّور؛ لذا جلبتُ رَفَيْن من السماء، ووضعت
عليهما الشمس جيدًا. طُرْتُ إلى حافة الأرض، حططتُ على
جبل الجليد، وكان الجليد حزينًا واهيا فواسيته. وضعتُ يدي
على قمته فكان رماديا بامتياز.

سأل البنت ماذا تشرب قالت:

TEQUILA SUNRISE. غنى ال EAGLES. تذكر حبه ل
METALLICA و DREAM THEATER، أغمض عينيه، ووضع إصبعه
في في العالم.

كان الله حليماً بقلبه فودعه - (أحمر كما كان) - ولم يتحول
لقطعة فحم سوى لسانه.

البتت يحملها وهي تحمل العالم والعالم يحمل أوزاره والليل
يطاردهم وهم يعلمون تماماً: أن ما يحدث حادث وأن الحادث
ليس جديداً وأن الجديد هم والقديم هم والممر الأبيض ليس
بأبيض والبذلة السوداء كانوا يلبسونها جميعاً.

الدرس الثالث:

المتاح من العالم: أنك لست سوى مادة للأخبار. لا طعم
لا لون لا رائحة.

المتاح من العالم أن تمثّل اختراعك العالم كله وإعادة
اكتشافك المكشوف (ملحوظة فقط للحمير)، أو كما قال
أخي نيتشه طيب الله جنونه، وجنوني.. كدخان الأسفلت
وهم يزرعون به الطريق أنت! كثعبان كلما فح اهتزت شعرة
من رأس الجو. كطابعة نسيها إله القطط تعمل منذ سنوات
وأترعها بطيور الورق المرسوم عليها فئران الحي. كشمس
تدعك ظهر السماء باللوفة والصابون أول انفساح الزمان عن

المكان. كجلمود صخر حطه السيل من علٍ ومازلت تقول يا سلام وكأنك تفاجأت فعلاً. ككلب كخنزير كذئب كزرافة كفراشة كذبابة كسمكة كما يحلو لك ما لم تكن نباتياً. كاحتمال الفرض حين يجزم اليقين بتأكيد الواثق من شكه. كخبطة الشرطة ابنة الحرام في بلدٍ حرامٍ بعد منتصف الليل على باب كأنه يقرعه الحرامي الغشيم..

ضع ك ثم أكمل وحدك لأنني في الحقيقة كأني سئمت كما كنت أعتقد كبداية..

(نعم، كتابي الجديد سأهديه إلى جيوردانو برونو؛ لأكافئه على عالمه العدم الجميل. فهو وإن أحرقت الكنيسة على رأيه - كان قد أفرط - برأيي - في تفاؤله - بالتشاؤم.

الشارع تعبته وأنت تقول: ياه، هذا الظلام لماذا هو أسود هكذا. تستهزيء بأرجوحة الاختيار في الجبر؛ بل، وانزواء العلة قبل أن تحمد سيجارة!

ماذا، هه، كل هذا الـ. ليس في قلب الكلام - سوى كلام. وللأمانة: بعض البذر.

تسمع كيف يموت الصغير على الوردية؟ كيف يكون الصغير صغيراً وهو كبير؟ كيف انتحال الحياة الوحيدة صفة

حياة. هل لأنها هكذا أصبحت كذلك، أم لأننا كذلك أصبحنا فعلا - هكذا؟

سأل الوردة قبل الموت. سأل الوردة بعد الموت. سأل الموت: قال أُجَرَّب. أخذ التراب بين يديه، كأنه ابنه. أخذ ابنه وبين يديه: كان تراب. طار على محوره أعلى، وجد الظل؛ بشعر يقطر لبنًا وشموسا ونبيدا، جسد مثل بيضة نعام.

قال الناس تراني ذئبًا. قال الذئبُ الناسُ وعينُك. قال انتهى وقود العالم، قال العالم أنت بشرٌ ط. قال انتظر، أغلق أولا فمك، وافتح قلبك رغم الخوف - بالخارطة. عاد يغني، ويغني. يقبل بالأوقات بديلا للمعنى، والأشخاص بديلا - عادة - للحق. يذكر للتاريخ فضيلة فرض التحقق، وللفيزياء خلاص النية في الطبيعة ببداية، وللرياضيات قميصها الهفّاف الذي نرتديه! والفلسفة، ما الفلسفة؟ وعلبة العلم الملون، والمجاهل في المعارف، وانتحاء الكل ببعض، ثم لا يذكر ما السر. هل كان يعرفه في البداية؟ أم لا يحتمل الوجود اثنين على نفس العدم.

النهر، لا ماء فيه. لا، هناك، انظر! أقول لك لا ماء. وأنا وأنا نقول هناك. فلنسأله، هل فيك ماء؛ أبك ماء يعني؟ لا أنا لست من تقصّدان. أنا مجرد ماء، لا نهر. من إذن. قلت الماء. وماذا أيضا؟ لا الماء، ولا النهر ما تتقصّدان. لا السائر

حتى ولا المسير. أنتما تريدان البحر، والبحر أيضا ليس هنا،
فاسألا.

(رغم أني لا أستطيع سوى الصياح، جلستُ إلى عرش
البيانو - أنقر الأبيض والأسود)

أعرف أني حين أموت؛ أكثر من واحد قليلا سيعرفون،
وأقل من مثل ذلك - من سيحزن، وطبعاً أقل كثيراً جداً من
سييكي. لكنني أحتاج الآن أقل من ذلك بكثير؛ من ينتبه،
لو - عَرَضاً - أني مازلتُ معدوداً - في الأحياء.

الكل أولاد زِناء. حتى «زِناء» نفسه

(١٤)

من كتبها عبقرى أبله بالتأكيد. سيقولون. من قرأها مجنون.
ومن فهمها حتّى مأفون!!

الناس لا تأتي إلا على السمعة. لا يهم. مَعِينٌ على النقص
مَعِيُونٌ على التمام. والذي نفسي بيده؛ إنهم ليحسدونني على
ما ليس لدي، عادة، وعلى ما ليس لي غيره. الطيبون أولاد
الرائعين!!

يكفي أنني وأنا أكتب، ألفت كل حين إلى شيء آخر قَطْعًا
يكون كتابا أفضل أعجبني بحق، وغالبًا: لا يكون رواية
بالتأكيد يعني!!! لكن، احذر، روايتي هذه فيها عُصَارَةٌ
الحَشْخَاش.

أنا في الحاجات بين أفنٍ، وتَحْيِين: نَقْصٍ وتَوَجُّبٍ؛ أأَحْتَلِبُهَا
أَنْنى شئتُ كل وقت وفي غير حينها مُسْتَخْرِجًا كل ما بالضَّرْعِ
غَيْرِ وَاِدْعٍ فيه شيئًا، أم أَحْلُبُهَا في اليوم واليلة مرة واحدة!

الطريقة الوحيدة لتفادي الخطأ هي الجهل أو البكم. لا.
أعتقد «الموت». يجوز. ألا رُبَّ موتٍ جرَّ أخطاءً أفدَحَ من
حياة. قد. لكن يَظُلُّ الموتُ الجوابَ الأفضَحَ عن السؤالِ
الأعوَصَ!

العَيْنَةُ بَيِّنَةٌ! الريموت، النظارة، روعي ونفسي.. يااااه...
أين أنت يا كلارا - الوحيدة التي كانت تعثر عليهم جميعا في
أي وقت وفي أي مكان ودون أدنى جهد.

صدقيني. كانت ستعجبك الرواية. وتضحكين كثيرا وأنت
تقولين لي بعينيك: بيبي، أحبك.

هي تلك التي حكيت لك عن بدايتها وكنت ساعتها لا
أعرف كيف سأبدأ وكيف ومتى أنتهي.

الفن ضرورة. ويا ليتني لو أعرف لماذا. الموسيقى ضرورة
تماما. الشعر ضرورة خاصة وحادة جدا وناعمة. الرواية
يقولون أيضا. يااااه. لم كل هذه الضرورات؟ ألا تكفيها ضرورة
الحياة وضرورة الموت. لا ضرورتهما. الصحة المرض. ضرورة
الوجود ضرورة العدم. ضرورة الحب ضرورة البغض. ضرورة
الصوت ضرورة الصمت ضرورة العمل!!؟

اااااه. العمل.. لو ألغينا فكرة العمل ألم تكن ستلغى معها
فكرة الظلم. نُلغِي بعدها إذن مَنْ يستغل من. آه. ولكن من

يستفيد ممن؟ لا ااا. سنلغي الاستغلال لكن الفائدة ستعم. لا
تَعْمُ فَحَسْبُ إِلَّا إذا حددنا من يستفيد ممن لمن وفي سبيل ماذا؛
أي الاستفادة مشتركة بعدالة وقانون ومساواة حققة واضحة.

لا. مازلت غير مقتنع.

إذن يا ذكي ماذا نفعل؟

- هذا ليس شأني أصلا !

(١٥)

في وقت ما، ربما الربيع المقبل - سأكون قادرا على كتابة
سينما كل الحاجات والأشياء بلقطة واحدة واسعة لا تسمح
بأية تأويلات سوى نفسها. أسميها عن الواحدين الأكثر من
أن يُحْصَوْا في صالات البنوك، أو شجرة الكلاب الصغيرة التي
تتدلى من أذنائها أغصانٌ تحتسي عَرَقَ العابرين - أو الأقربُ
ظِلُّ ماكنة النقانق المفروود على ظهر المخرج المساعد.

نعم ستكون كتابتي محددة تماما ومباشرة ومختصرة أحاول
بها معالجة القصور الشديد لمؤسسات الفهم.

سينعم السيناريو الأول بتأييد الجماهير اعتمادا على رصيدي
الصُّفْرِي؛ لأنهم بذلك سيكون لديهم أملٌ أخيرا في أن يَرَوْا
أنفُسَهم - نائمين..

أبدأ بامرأة تجلس بساقي مَقْصٍّ تُقَطِّعُ قلوب الناظرين
باحتراف. أنتقلُ إلى امرأة أخرى تمسك عدة النجارين وتدق

مسامير في الحائط الرابع. أقتحمُ المُشَاهِد بحركة لولبية تأتي بالكاميرا من خلفه ليجد صورته تُقبَّل امرأة، وامرأة أخرى تبحث في جسده عن علامة استحقاقه ميراث العرش، وامرأة أخرى تماما تقلد ما سبق بما لا يُشعر أحدا بأن الأحداث لا تحدث - وامرأة أخرى جديدة تسجل التفاصيل في كراسة، وامرأة جديدة أخرى تضع يدها في جيب امرأة تضع يدها في جيب رجل - ثم رجل غريب بلا شارب يتجه إلى الكاميرا ويُلوِّح لي ويقول:

أنا لن أمثّل إلا بعد أن أستلم أجري كاملا عن كل قبلة بشكل منفرد. لن أكرر غلطتي وأتقاضى أموالا تقل كثيرا عن مجهودي الخرافي.

أنا رجل لي سمعتي في السوق وإن لم يعجبكم عندكم غيري
مَنْ يَرْضُونُ بأي ثَمَنٍ - للحب.

سارت بينهم وبجوار الكلب فتعالى الصفيّر بالغزل. ظلوا يتبادلون الإعجاب بهذا الحيوان العجيب. وملأها الغيظُ من أن أحدا لم يلاحظ فستانها الجديد ولا سحرَها الطافح - كما أن الكلب اندمج في اللعبة وأخذ يبادلهم التحية بإشارات الامتنان والغرور.

رن الهاتف: أنا لست موجودة الآن. اعتذر بشدة. رجاء
تفضل بترك رسالة.

أنا.. أنا أتصل لأني لم.. أنا الآن.. أحاول.. هه.. كيف
حالك. هه. أنا.. أنا أتصل لأعرف كيف حالك. أحلم بك.
أشعر أن شيئاً عكّر بعض وقتك. هل. هل تامين جيداً. هل
تأكلين جيداً؟ أشعرين بالبرد؟ كيف حالك صحيح هاه؟!
هل.. هه.. أنا..

صافرة طويلة..... الصوت ينقطع.

تعود من رحلة الخارج. تعلق لوحة خالية أخرى على
الحائط. تنظر ماذا يليق بأن يحبس هذا الإطار - وتنام.
تصحو. تفرك عينيها. تشعر برائحة قلم رصاص ولم تعرف
من قبل هذه الرائحة. يكتب ويكتب ثم يتأمل. رمت نفسها
عليه وكادت تقتله. بدا كأنه كان ينتظر. ضغطت. لم يحتمل.
تعلق لوحة خالية أخرى.

على الحائط. تنظر. وتنام. يكتب: هذا الفيلم قد يحتوي
على أشياء حادة ربما لا تناسب بعض المشاهدين. تبدأ اللقطة.
يستمر صاحب الرسالة في التوسّل. يخرج من الحمام عارياً.
تقول ارتد ملاسك لنجلس ونتكلم في تفاصيل الطلاق.
يرفض أن يستمر. لا يذكر أنهما تزوجا. يبكي. يؤكد أنه لا

يبحث عن علاقة. تؤكد أنه قبَّلها. هي لا تعرف. هو مازال يحبها. اليأس يسحقه ولا يتوقفان..

تنام. تكتب كلارا في مفكرتها: ليس معقولا أبدا أننا كلما اختلفنا في أي شجار ثم أترك جيمس حينًا - أعود فأجده مشنوقا بحزام بل معلقًا في أي شيء يعلو. أوووو؛ لن أمثل في فيلمك. حبيتي، أكلمك عن الحياة تقولين الفيلم! ما المانع؟ لا شيء - صدقيني، لا عليك. هل أسبب لك مشكلة؟! لا، كل الأمور بخير؛ فقط - لا تبالي.

يستمر جيمس ويقرأ طويلا من مفكرته: ما أتذكره أنا سأظل أحبك. أعتقد أنك لن تتزوجي. أنا يقيئًا لن أتزوج. وربما، لن نلتقي!

أنا: خالق وجودي - بتصرف - أشعر وكأنه كُتِبَ عَلَيَّ حُبُّ البعيدة العالية. الحبيبة السَّالِيَّة. الوادعة بصخب لا ينطفئ. الصامته حتى لو تكلمت وأسهمت في الضحك. الرقيقة الناعمة بعنف. السلام الذي يدغدغ الحرب بعنفٍ مخلص، وقلبٍ لا يشيخ أبدا. ووجه الله.

وراءَ تَيْنِكَ العينين. تقف، وأمامهما كثير من الحشيشة والأمواج. فرسُوك الآن. إذا كنتَ تكره شيئًا بدِّلْهُ. لكن سابدِّلْهُ بشيءٍ آخر. مَنْ يضمن ألا أكره ذلك فيما بعد.

يبدو أني سأترك هذا كله وأذهب لأتابع سلاحف البحر في موسم تزاوجها؛ حيث تلعب الأنثى مع أكثر من ذكر قبل أن تعشش. هل تُصدّق. رائع. سأقف هناك ولن أألم. صرْتُ خبيراً. لم أعد أخشى شيئاً إلا المرض. هل يمكن أن أقفز فوقه. أختبر فقط شجاعتي. كما أحتاج التأكد من أن ذلك - كُلُّهُ - حقيقي، وليسَ:

DEMO

ليس هناك أجمل من قُبلة ونحن غرقى، وعناقٍ في عزلة.
ليس هناك أجمل من قُبلةٍ ونحنُ غرقى، وعناقٍ - في عزلةٍ، أو
عزلةٍ / في عناق. ثم يعود ليكي..
أحبك جداً. أم لا أحبك. لماذا تركتِ خدك على شفتي
حتى الآن؟

لم لا تذهبين وحسب، كما ينبغي. لست سعيدا. صدقيني.
وأظنك أنتِ كذلك..

أنا هنا، وأنا هناك. نحن الذين كثيرون جداً. نحن الذين
قليلون جداً. نحن الذين ولسنا تماماً. نحن الحاجة إلى معالجة
الاغتراب. نحن حديقة الحيوان؛ ونحن كراسي الحديقة ونحن
الحارس النائم. ونحن مزرعة الأفيون. ونحن أعضاء التناسل.
ونحن لا نعبأ بالحب إذا كان سائباً. ونحن الزوجة المخدوعة

نجمة المسرح، والزوج المظلوم نجم السينما، والأبناء التائهون.
ونحن أيام العطلات. ونحن أشياء أخرى لن أذكرها.

أكتب، أكتب، ويا ليتني لو أعرف لماذا؟ أُغَيِّرُ العالمَ بالقليل
وبالكثير. يتغير العالمُ بالقليل وبالكثير. أنا أُغَيِّرُ هذا العالمَ
بالكتابة، والعالمُ فعلاً ينتظرُ أن أغیره طبعاً بالكتابة!!

الفلوسُ لَبُوءَةٌ؛ تُخفي سرها الداخلي الأسود في فمي.
الفلوس كَلْبُ الحقيقة، وتجربة الصعود إلى «زُحَل» - عاري
المؤخرة.

أكتب، أكتب، ويا ليتني لو أعرف ماذا. أكتب، أكتب:
يا ليتني أعرف ما أعرف. أكتب أكتب: ليت ما أعرف ما
أعرف. أكتب أكتب، ويقولون جدارُ المنزل آيلٌ للسقوط
الكبير!

أكتبُ عن سقوط الغبار إلى أعلى. أكتبُ ثم أقول لها: لو
تقدرين انظري في عيني وابكي. أكتبُ: في انتظار الطريق إلى
راحتي. أغني، وأصفق؛ أنا لست سعيداً مع أنني عزفت أحلى
صولو في حفلي الأخير كعادي. أنا لست سعيداً يا ابن الـ..
لست سعيداً. حتى لا يمكنني الصراخ أو البكاء. لا يمكنني
أي شيء. لستُ سعيداً ولا يمكنني أي شيء. لستُ سعيداً ولا
يمكنني، لماذا؟

ما الذي قد يكون قادرًا على أن ينال من الموسيقى، ويحطم
أسطورة القُبلاتِ المتتالية التي تفرضها المحبة على الوالجين.

تعزف كتيبة ميتاليكا جيدًا بعد الخمسين وتنضبطُ بعض
الوقت، لكن حينها ريمًا - تحب العودة، و، تريدها - لا
تستطيع!!

هناك وَتَرٌ عارٍ تمامًا. هناك الليلُ يَعْصُ احتمالي. هناك هناك
مازال، ومازال هنا يخبط رأسه. كيف الذي يحدث يحدث؟
ولماذا لا نبغي التوقف عن أذى الحياة بحكمة، ولماذا لا تأتي
الحاجة على الدوام، على ما نرى - على ما نحب.

أقول أفتقدتُ وجودي بشدة في فمك، أفتقد شعرك،
صوتك ووجهك، ورائحتك، وعينيك، وصمتك. أفتقد
رؤيتي في غرفتك، وحكايتي قبل أن نحلم بالسرير، وحكايتي
بعد الضجر، وكل شيء. كل شيء. أنا أحبك صدقيني. أفتقدك
ولا شيء يعوض عنك مهما كان ولا أحد..

حين كنت أفتش في يديك عن الحياة، كنتُ أقبّلُها في يدي
وأنا أقبّلُها. لا تزيحي رأسك عن كتفي اللعين، ولا تزيحي
رأسي العاق عن فخذيك، ولا تزيحي عينيك اللتين أحبهما وكل
منهما تبلعني على حدة ومعًا؛ أفتقدك بشدة صدقيني، كما أنني
بالفعل لست سعيدا يا حبيبتي.

بحثاً عن فراغ، يجوز. عن مكان أو امتلاء، بحثاً عن هذه الدنيا في الدنيا - رُبَمَا كُنْتُ رَاعِي ضَاْنٍ لَا يَمْلِكُ إِلَّا نَائِيًا وَجَدَهُ عَلَى شَطِّ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَهْدَ حَتَّى تَعْلَمَ كَيْفَ يُمْسِكُهُ جَيِّدًا بَعْدَ الْإِيقَاعِ الْمُتَكَرِّرِ.

ربما كنتُ راعي ضأن يذهب أول اليوم وحيداً مع القطيع؛ ليعود آخر اليوم وحيداً مع حزمة جرجير.

ربما كنتُ راعي ضأنٍ يُغْنِي للشمس فتطلع للقمر فيستمر في الاستدارة لقوس قزح فينشط في تلوين السماء للنجوم فتأتي فوراً بصدق!

ربما كنت راعي ضأن غريب الأَطوار فكان الشياهُ يجبونه وَيُقَدِّرُونَ عَدَمَ تَقْلِيدِهِ لَهُمْ فَأَخْلَصُوا لَتَنْغِيمَةِ شَفْتِيهِ ثُمَّ لَمْ يَنْفَرُوا مِنْ رَائِحَتِهِ - بَعْدَ الْمَوْتِ.

بحثاً عن هذه الدنيا في الدنيا، ربَّما كُنْتُ لَاعِبَ جُولْفٍ كَانَ الْجَمِيعُ يَشِيدُ بِمَهَارَتِهِ؛ لَكِنَّهُ كَانَ مَمَزَقًا بَيْنَ فَتْنَةٍ سَاحَةِ اللَّعِبِ وَالْمِيَاهِ الَّتِي يَرَاهَا تَجْرِي أَكْثَرَ مِمَّا يَجِبُ.

ربما في حياة أخرى؛ بحثاً عن دنيا في الدنيا - ربما كنتُ امرأةً فأبحث عن معنى الرجل في الصوامع والمولات وفناجين القهوة والشاشات وكل ما هو زجاج لا ينكسر بسرعة!

ربما في حياة الحقيقة أرى الحقيقة. ربما في حياة الحياة أرى الحياة. ربما في ظروف أخرى أغمض عيني للنهاية؛ لربما أرى الإنسان (أو أي شيء يعني) .

كنتُ الذي كانَ يمكنُ أن يكونَ الذي فكانَ الذي والذي كانَ!

بحثًا عن قبو الخير في شارع اللذة، في شارع المتسكعين بالمحافظ الهوائية، في شارع المعنى المؤدي إلى ما يؤدي. في شارع المقهى - أنجلسُ مثلما كنا نفعل في نفس المقاعد. أُمسكُ بالقلم الذي ليس في يدي، وأزحفُ به على بطن الورقة؛ ربما حين أدفئُها تَنفَتِحَ.

هَلَّا فعلنا كما فعلنا. نجلس في نفس الشارع نفس المقهى نفس المقاعد. نفس الذين كانوا حولنا. نفس الدخان نفس الكلام. نفس العيون التي تمتد إلى الصدور نفس الظلام. نفس رنات الهاتف نفس القلق. نفس الأكواب نفس الأطباق. نفس المشاكل العالقة نفس اللُّعَاب. نفس يدك الباردة حول نفس يدي المائتة. نفس ما كنا نشرب نفس ما كنتِ تأكلين. نفس جنازة الدخول نفس قُدَّاس الخروج. نفس الوقت نفس النقطة. نفس النسيج الذي كان في نفسٍ بعيدةٍ نفسٍ قريبة. نفس النقطة، نفس الوقت.

قال النادل: لم يكونا كما ينبغي، ولم أر أحدا مثلهما. لم يتكلما في الحب أو الخوف. لم يتعلما تمضية الحلم بين الشجر، ولم يعرفا كيف يضعان الفم على الفم حتى المنام. ولم يرياني شبهاً أو ملاكاً أو طفلاً يحمل مصباح علاء الدين. كما لم يلصقا جسديهما بحجة البرد في عز الصيف. لم أصدق أنهما مازالا خجولين. أم لعلهما لا يعرفان!

ما حدث أن الذي حدث قد حدث. رَبَطَ رَأْسُهُ بِذِيلِهَا،
و - بَكَى..

نظر إلى الشاشة خلفه فقالت له لاجئة هذه البطاقات
الذكية التي نأخذ بها حظنا. دخل الشاشة بعينه فأصابه دوار
البحر للمرة الأولى. هو سباح ماهر في قول الماء. رفع رأسه
فارتطم السقف بسقف آخر. ذبح روحه فرجع إلى الراوية
التي تعرف كل الحاجات. فَتَحَتِ الْكِتَابَ وَوَضَعَتْ فَمَهَا عَلَى
كَلِمَةٍ لَهَا أَسْنَانٌ مَقْوَسَةٌ لِلخارج. هذا أنت. لا شيء يُمَكِّنُكَ
فِعْلُهُ فِهَذَا أَوَانُ الْخُسُوفِ الْكَلِيِّ الَّذِي كُنْتَ تَهْرَبُ مِنْهُ. وما
أنت إلا معدة مضطربة بأسى.

دخل إلى سينما الأحياء فَلَقِيَهُ قَاطِعُ التذاكر بجشته كاملة.
طلب أن يتأكد من وجود الشاشة البيضاء بيضاء، وأن يَضْمَنَ

له عدم إصابة الممثلين بالملل، وألا يحاولوا الخروج من المقاعد. الرد كان طبعياً فعرج إلى مسرح في الجوار فلقى الجثة ذاتها فطلب الطلب ذاته. الجثة تركت النافذة صاعدة إلى خشبة المسرح بين النص لتُعدّل فيه ارتجالاً يليق بالجمهور الكريم. الرد كان أن الطيف ظلّ قبل لقائهما يتردد حتى رأى فسند إليه ظهره وتابع. الموقف أنه الآن شيخ وهي في المحراب وهم على سلّم المحيط والنار تبدو أمام المؤمن المخلص أقرب إليه من جبل الوريد..

قرأ فلم ينتبه. كتب فلم يتزن. أكل ولم يشبع طبعاً كي تتم سداجة ما يقول إنه يحسه. بحث عن نقطة مرجعية غيرها فوجدها فيها رغم أن قانونه اللاقانوني كلّهُ ثقوبٌ ممتدة. عادت بظهرها إلى قلبها قليلاً لتُكمل. سقط إلهه في حجرها. كادت تبكي. شرع في تحريك يده اليمنى ليحضنها. اليسرى كانت تشدّ خطّه بقلم جاف. ساعتها، وقبلها لما رأى عباءة الراوية تفرد جناحيه، عرّف أن الطعام لا يستلزم مائدة، وأن البطاقات الذكية لها رصيد. ثمّ، لم تُصدّق الراوية - طبعاً - الحلقة الأخيرة من بدايتها، وفتحت بابها على شقّة الإنسان الذي يؤكد أنه أفضل من القطة. بل ويشرب - حين شاء - كحوليات - بلا ثمن!!

تعب؛ لكنه استمر..

فَعُلُ الحِياة: تَحْقِيقُ شَرْطِ الوجود والإرادة. الإله ذاته لا يُمَكِّنُهُ تَغْيِيرُ مَا مَضَى، وأنا؛ سأؤلفُ قصيدةً عن الإحساس عند غَرَزِ الرمح في خاصرة الموت؛ وأنا أحضن رأسك بين عينيَّ وشِعْرِكَ يُدْفِنُنِي، فيما تقولينَ أخشَ على نَفْسِكَ مِنْ نَفْسِكَ يا أنا.

سأقاتلُ الأيامَ حتى آخرَ رَجُلٍ، وسأقفُ على قلبي لأصلِ إليك بحق. وأقولُ أرجوكم، أرجوكم لا تُفَجِّرُوهُ.. أنا هنا لِعِزْلِهِ عن الرطوبة، وهو هناك ليتعرَّفَ لِمَ مازالت الكنائس والمعابد والمساجد متناثرة..

عُرِضَ على اسمِهِ صندوقٌ خشبيٌّ صغير، فَتَحَهُ فإذا بسنوات الحرب تنتهي بكلمة واحدة: الحمد لله. هل صحيح أن العالم فيه روعة؛ رغم الرُّوع؟!؟

طَعْمُهَا فِي دَمِهِ، دَمْعُهَا فِي فَمِهِ. وَكُلُّ الأشياء تبحث عن صوتها لِتَعْلَمَ الطريق. هي ربما قد تكون شجرة صَبَّار، لا، بل هي الوصف الحقيقي لكل تعبير عن الجوهر إذا كان نبيلًا فحسب. تَسَلَّقَ الساعاتِ فوجدتها تطبخ الوقت بلا موقد. جاعا، فما لا إلى ميناءٍ وسطَ اليابسة المتسللة. سألَا عن المركبِ المُقْبِلِ من جهة الله - فأشار صبي إلى ناحية الجبل. قالوا وكيف

أصلاً. جئت عارياً، وللمفارقة، تعلم أن ستغادر أيضاً عارياً بكساء صدقة. ورغم ذلك، لا تفتأ تُكَدِّسُ الأغطية في خزانة الملابس. الأحياء: لا يحتاجون أغراضهم البتة، بل الأموات..

العالمُ كُلُّهُ فِي كِفَّةٍ وسعادتك إذا لقيتها؛ ألا تكفيك كآبة الليل! طُولٌ وُحْدَتِكَ ذاتِ الأنياب والخياشيم. لا. لن أذهب للضريح الآن. أكتفي بإرسال قرباني هذه المرة، كما سبق.. هه، مازلت ضفدعا صغيرا يجلس على بركة الماء، ويشاهد الحياة قطرة قطرة، ومع هذا؛ أسعى أن أكون أصيلاً. لا أن أكون خَلَقْتُ نفسي، وإن كان ذلك صحيحاً إلى حد، بل أن أكون سَبَبَ نفسي، وعِلَّتْهَا؛ كي أستطيع التحكم بحق. أن أكون أصيلاً فريدا نسيج ذاتي وحدي فحسب.

ليس عكس ألا تحب أن تكره. هي كذلك: تحب، أو - لا تحب، وحسب.. كن جديراً بالاختيار. لا تهرب. الحب ليس نقيض اللاحب كما سبق، هو نقيض نقيضه لا أكثر ولا أقل. كل شيء نقيض نقيضه فحسب؛ أُحِبُّكَ، وقال كذلك لها، أُحِبُّكَ. تَحَذَّرْ ظِلَّهُ. رَدَّدَ، لا أحد مثلك، لا أحد. لا أحد. رأى عينها تدفق منهما كل المادة، وتبذر في كل عضو روح الاسم، ثم وَصَعَتْ في كفه حيواتٍ صغيرة، وهو ذاهب؛ حينها تَذَكَّرَ ألا أحد يُمَكِّنُهُ خَتْمُ الإنسان.

أنتِ أفضل بكثير مما تعتقدين، وأجمل مما أظنُّ بمراحل صدَّقيني. أما أنا فألُحُّ بشدة وأنا أطيِّرُ في وجهكِ الذي يُربِّي الحياةَ الرحيمة. رَدَدَ في نفسه كذلك أنه مازال غير مُصدِّقٍ لاعتدالِ العدالة، ولا أنَّ شُرْفَةَ القدرِ ربما تُطلُّ - مرَّةً ولو بالخطأ - على بُسْتَانٍ سَمَّوْهُ فيما بعدُ شارعَ الموتى. قال لها اسمُكِ مَمَرُ الدنيا إلى سِدْرَةِ التَّسَامِي الرُّطْب. أَفْتَقِدُكِ. مُحْتَاجٌ إليك بدرجةٍ لم أكن أتحيلُها. أَتَأَمَّلُ رسائلكِ على الفيسبوك لأهدأ كأنها مِنْ خَطِّ يَدِكِ.

أريدُ أنْ أصحوَّ على صوتكِ. أنْ أنامَ بأنفاسِكِ. أنْ أعيشَ لأجلِكِ. أنْ أموتَ دونكِ. أنْ أكونَ سجادةً من قطيفة القلب بكل الألوان تستقبل قدميكِ أُنَّى وَلَتَا. أنْ أصيرَ هواءاً ناعماً يحرس أحلامكِ. أنْ أَكُونَ إلهًا جيدًا يَتَّبِعُكِ. أنْ أُمَهِّدَ الحاجاتِ لأن تلمسيها. أنْ أُعَبِّئَ الأيامَ بدفئكِ. أنْ أُغَيِّرَ اصطلاحاتِ القداسةِ لَتُقَارِبَ ضَوْءَكِ الرُّؤُومَ الواحدَ المتعَدِّد. أرجو أنْ أحتَمَلَ جِمالَكِ المتجسِّدَ فيكِ وحدكِ على غير كل العادات. أرجو بانتهاءِ كاملِ أنْ أغادرَ سَقْفَ الكتابةِ والقراءةِ والموسيقى؛ لأنفِرَ من أجلِ العِبَادَةِ. أرجو أنْ أَبْكِي. أَبْكِي. أنْ أكونَ رَجُلًا بِحَقِّ، وَأُحِبَّكِ - كما يجب. على كل حال، الحمدُ لله أنْ نَمَتِ مبكرًا الليلةَ يا «حبيبتي». أُحِبُّكِ. فقط، أحبك. وقد لا

أستطيع غداً أن أكتفي.. فالواحد: لا يجِدُ وجوده، ولا يُحَقِّقُه -
أَبداً، قَطْعاً - بتلك السهولة.

أحبك، وأفتقدك. رغماً عني بإرادتي، وبلا وَعْيِي الواعي
أبداً كاملاً.. نَحْنُ. فقط. نَحْنُ: وَحَدْنَا كُلُّ شَيْءٍ. وَكُلُّ
الحاجاتِ والرغباتِ والملكوتِ والأسماءِ والصور.. أشعر
للمرة الأولى بِكُلِّي كُلاً حَقِيقِيّ الوجود. أَنَّ حدودي بلا حدود..
أَنَّ جَسَدَيْنَا رُوحَانُ، وَأَنَا اثْنَانِ واحداً، بل إِنَّا أَصْلُ الواحدِ.
أنتِ طبيعتي التي لَهَا طَعْمُكَ، وطبيعتي أَن أذهب إلى القدر؛
لا أَن أنتظره فيأتي أو لا يأتي. أَمَلِي أَن أَجَرَّبَ فِيهِ أَثَرَ الْحَمْرِ. أَن
أَعْرِفَ إِن كَانَ رجلاً أَمْ قِطَّةً. أَن أَمْشِيَ فَوْق ظِلَّة. أَن أَجْعَلَهُ
يتعثر. أو يقول: رأيتُ البارحة لسانَ الغدِ - يتحرك..

تعبت. الدواء يجعلني مريضاً بحق، نائماً بضمير، مهلوساً
باقتدار. الدواء مُخْلِصٌ تماماً للمرض، لا للمريض. أنا مريض..
ولا أعرف لماذا؟ أنا مريض ولا أعرف إلى متى؟ أنا مريض ولا
أعرف ماذا يحدث بالخارج ولا بالداخل. أنا مريضٌ نموذجي.
المرضُ كالقصيدة، ولا تقل كيف. المرضُ: كالقصيدة، مهما
قيل للمساكين.

يقولون يكبر الحزن في بدايته ثم يصغر فيتلاشى. هؤلاء
الذين لا يحزنون بضمير، لا يحزنون بضمير، ولا يحزنون!

أصبحت كَمَرَطَبَانِ البراغي؛ عجوزا يجز العشب، ويتذكر
فرحة ابنه الكبير حين أتم قص أظافره دون جرح. أشعر
بالتعب. بالإنهاك. بالخداع الجيد. أنتظر بلا حراك. أكمش في
السريـر كَدْبٌ كان يوماً ما «شهوانياً»، ولما جار عليه الزمن،
أصبح لا فرق بينه وبين البَقِّ. وليس يعرف موطنه الأصلي
أو منفاه أو حاضنة عظامه وطبق الرفات، أو الطريق إلى الحَمَّام
طبعاً. والأغرب من ذلك كله: بقي عالقاً في الفراش!

يقول الفحص إني طبيعي جداً. وهذا - في رأيي - أهم
دليل على جمال العلم، ومدى التقدم الذي سيتجاوز التقدم
إلى آخر. وأن ارتداء التي شيرت يخضع لقواعد منضبطة؛ لا
تبدأ بإدخال الرأس، ولا تنتهي بإخراجها.

الحياة كَمَشَّة. العمر كَمَاشَة. الإرادة فأر. الحب مصيدة.
الدين خيار. السعادة أفيون. الأمل نابالم. الصحة محصول.
المرض حاصل. الحاجة عجلة. الرغبة سيارة. العقل جوافة.
ههه. القلب فلفل. الرجل حاجة / المرأة حاجة. الوقت
كمثري. الأشياء فستان. الصورة مقبرة. الباب نافذة. البيت
منزل. السكن مستحيل. السفر حبل. الإقامة وهم. الماضي
مضارع. المستقبل مشبك. الواقع مستنقع. الحقيقة قهوة. الحق
احتمال. العدالة سجادة. الخيال شامبو. الإفاقة حلم. التعب
إسفنج. المخ حرقان. الأيام حطب. الباقي: قش.

على باب مقبرة الملك العظيم وقفت أصيح: أنا لست
بديك!!!

على باب الحديقة شجرة البهجة تنادي: لا تدخل... ولا
تخرج!

يتمدد اللسان ليبحث عن التواء خارجي فيتوقف الكلام
عن الكلام. يخرج اللسان فيتوه الكلام. الأطراف تفقد هي
الأخرى صلتها بأوامر المخ. العقل موجود فقط ليحمل عينين
على التحديق، ولا قدرة على أي شيء سوى الندم والعجز
والذهول ثم الرضا بالهزيمة والنهاية.

لا تقل إنك حتى الآن لم تتعاطف فأنا أعرف.

أُمَشِّطُ شعرها بفمي وأُعَبِّيُّ صدري بدخاني. أُمَسِّدُ
صدرها بيدي وأجفف عيني بالخوف. أُلقي خدي في فمها
لأصطاد نشوة ما حتى لوزائفة.

أنت وحيد كمرآة مقوسة بين الجسوم. كفرج مقدس بين
فخذين. كعلامة طريق بعد منتصف الضباب. كماء تستحم
به الجميلة قبل الفراق. كغراب اصفرَّ صدفة وصدَّق فانتظر
على أمل أن يصيرَ أحمر. كمن يلتقط صورةً بالأبيض والأسود
لليل، ويكتب على كل شيء لونه الطبيعي، ويشير في هامش
المنظر إلى شدة الإضاءة. يكتب عن تجربته ولا يعلم لماذا.

يكثّر من البدء بالواو العاطفة، وقد نسي بالفعل ما الغرض من صورة كهذه، ومن كتابة كتلك. كما أنه لم يَر يوماً صورةً أصيلة.

هل تفعلين لخاطري مثل إيزيس عندما جلست بجوار جثة زوجها المقتول تندبه وتقول: تعال إلى بيتك أيها الينع. تعال إلى بيتك لأراك، أنا زوجتك التي تحبك. لا تفترق عني، تعال إلى بيتك فأنا لا أراك، أيها الينع الجميل. قلبي يناشدك، عيناى تشتهيانك، أبحث عنك لأراك. تعال لمن تحبك، أيها الكائن الجميل، تعال إلى زوجتك، تعال إلى سيدة بيتك. أنت يا من أحببت الضوء، لا تذهب في الظلام! أنت يا من أحببت صخب الحياة ونزقها، لا تذهب للعزلة!

أفقد السيطرة على كل شيء. أفقد انضباطي وعقلي، وأجلس بلا عمل سوى الرغبة في البكاء الذي لا يأتي. أفقد سيطرتي تماماً على الوقت. أرى المكان يلعني كما يلعب الهواء الهواء. أسمع صوتي لا يخرج من كهف الكلام. أطرافي لا أشعر بها ولا بنفسى بأي شكل. ماذا يحدث؟ لا أعرف حتى.. الرغبة تملأ كيس العالم بالحصى والثقاب. كما لا أعرف متى تتصرف الساعة معي كرجل.

نم يا حبيبي. على أن أحبك أكثر غداً، فأحب غداً بك أكثر. ثم قال لها: الوحيدون للوحيدين.

أنا تعبـان. أخبريني ماذا أفعل لو داهمتني التشنجات المعتادة وأنا وحدي؟! إنني حتى لم أكن أخشى الموت ذاته - ماذا حدث! وأنت أيضاً؛ من سينظف قدميك حين تسقطين من درج السلم - كالعادة، وأنت وحدك.. ببساطة، خذي راحتك؛ حُبُّ شيءٍ أو أحد لا يلغي سواه. إذن؛ لا خيانة!

لا شيء. أنتفضُ ثمَّ لا شيء. أحاول البكاء ولا شيء. أحاول التماسكُ أُجربُ التصنعَ أحاول ثانيةً لا شيء! أضطرمُ لا شيء أسكنُ لا شيء أرتعدُ لا شيء. أحاول البكاء سريعاً وبطيئاً وخَفِيفاً ومُعلَّناً وفَجّاً وخلصـة. أرجوه لعله يخجل مني كما أفعل. أنتظر رسالتك.. عنفك.. غضبك.. أي شيء.. أي شيء. أنتظرك. لا شيء. لا شيء.. لا أبكي. لا أهدأ. لا أعرف. لا أي شيء!!!

أنتظر انتظارك لي. آتي لأتفرج عليك وأنت تسقطين في غرامي كإبرة في عين الواقع ثم أتلذذ بمراقبة محاولـاتك النجاة، لهفةً لا انتقاماً كما تفعل السينما في الحياة ولا تفعل الحياة في السينما. أغضبُ، أذهبُ، تنتبهين لعدم وجودي، وتركين الحفل بحثاً عني. تجدينني مستنداً إلى حائط وأشعل سيجارة وأنا لا أدخن. صدقيني، لقد أفلعت عن التدخين ساعتها وعدت. أخرجُ من جيبي قنينة وخنجرًا ومفتاح الحقيبة. أفك أزراراً وأفتح الكتاب على الصفحة. تعضين على

شفتك السفلى وتدعكين المصباح. ينزل المطر والبرَد والملائكة
والشياطين والأجنحة والأسلاك ونبدأ الرقص، ونكمل..

يكتب بقلم مَسَّتُهُ يداها ليراها. يلعن اليوم الذي دخل
فيه الروبوت إلى عُلبة الدنيا، ويلعن الدنيا التي فتحت علبتها
للروبوت ذلك اليوم.

أَكلمكِ في الليل لأجد السكينة والسلام بعد الحرب.
أَكلمكِ بالليل لأَصِلَ إلى راحةٍ ما (ولا يهم أن أعرفَ - لماذا؟).
أَكلمكِ في الليل لأعرف الليل؛ ربما أحججه كصديق بعدما
تمّضين كعادتك. أَكلمكِ بالليل بعيدا عما يُشَوِّش أكثر -
يكفيني ما تفعلين.

أَكلمكِ في الليل لأطمئن على مثوأي. لأُرَبِّتَ على كتفي.
لأربط قلبي بيد التأمل. لأربط قلبي بجذع الشجرة. لأربط
قلبي بحقل التجارب. لأربط قلبي بشعرك. لأربط عيني
بوجهك. لأربطَ روحي بقدميك أو أكثر. لا أكثر.

أَكلمكِ بالليل لأقول ليل في وضوح النهار: يا ليل، يا
ليل.. أَكلمكِ بالليل لأؤكد لنفسي لاجدوى العالم من دونك.
أَكلمكِ بالليل لأهمل أوزاري في صمتٍ وأضحك.. كصدى
ساذجٍ وشيقٍ ونهمٍ وراءك في المحيط.

أَكَلَمَكِ بِاللَّيْلِ كِي أَرَى أَمَامِي بِحِدَّةٍ. أَكَلَمَكِ بِاللَّيْلِ؛
لِتَحْسِنَ قَدْرِي عَلَى الْقِرَاءَةِ وَالْكِتَابَةِ. أَكَلَمَكِ بِاللَّيْلِ لِأَقْتُلَ
الْكَابَةَ. أَكَلَمَكِ فِي كُلِّ حِينٍ لِأَرَى إِنْ كُنْتُ حَيًّا مَازَلْتُ، وَمَتَى
الْأَلَمُ التَّالِي، وَكَيْفَ يَكُونُ؟ أَكَلَمَكِ بِاللَّيْلِ لِأَقْتُلَ الْوَقْتَ وَأَنَا
مَرْتَاكِ الضَّمِيرِ وَصَافِي الذَّهْنِ. لِأَقْتُلَ الْوَجَعَ الَّذِي لَا أَعْرِفُ
لَهُ سَبَبًا. لِأَقْتُلَ الْخَوْفَ وَالْحُزْنَ الْمَلُونَّ. لِأَقْتُلَ النَّمْلَ وَالضَّفَادِعَ
وَالذَّبَابَ وَالْآلَاتِ وَالْأَوْرَاقَ وَالتَّوْقِيعَاتِ وَالضَّمَانَاتِ. لِأَقْتُلَ
الْأَمْعَى وَالْأَوْعَى وَالْأَغْيَرُكَ وَالْأَنَا، وَ- أَنَا.

أَبْهَذَا الْقَدْرُ حَيِّتِي؛ لَا تَحْبِسْنِي! بِهَذَا الْقَدْرُ يَا حَيِّتِي؛
لَسْتُ حَيِّتِي. مَاذَا يُمْكِنُنِي أَنْ أَفْعَلَ سِوَى الْغِنَاءِ؟ هِيَ لَا
تَرُدُّ. مَعَ هَذَا ظَلَّ يَكْتُبُ لَهَا اسْتِنَاسًا بِهَا عَلَى الْبَعْدِ، مَتَوَجِّعًا:
أَهْ لَوْ قَرِيبَةً!

بِالْمُنَاسِبَةِ، كَدْتُ أَنْسَى هَهْه.. إِذَا لَمْ تَفْهَمِي شَيْئًا فَلَا قَلْقُ؛
أَنَا أَيْضًا لَا أَعْرِفُ شَيْئًا سِوَى الْقَلْقِ..

أَوْتَعْرِفِينَ؛ لَيْلَةُ الْكَرِيسْمَاسِ - أَسْرَعُ وَسِيلَةٍ لِلْقَفْزِ. فَارْصُتُكِ
الْوَحِيدَةَ تَقْرِيبًا لَوْهَمٍ جَمَاعِي آخِر. هَاه. لَيْسَ بَعْدَ. هَاه. لَا
أَسْمَعُ جَيِّدًا. أَلَنْ يَقُولُوا هُنَا: خَمْسَةٌ، أَرْبَعَةٌ، ثَلَاثَةٌ، ائْتَانِ،
وَاحِدٌ... وَيَدُقُّ مَتَصَفُّ اللَّيْلِ عُنُقَ الْعَامِ الْقَدِيمِ؛ لِيُثَبِّتَ
مَسَامِرَ الْجَدِيدِ بِجَوَارِهِ!!

هِيَ لَمْ تَرُدِّ بَعْدَ . لَمْ تَعُدْ . مَا يَذْهَبُ يَذْهَبُ . حِكْمَةُ الْيَوْمِ .
لِيلَةُ الْكْرِيسِمَاسِ . وَأَنْتِ وَحْدُكَ مَعَهُمْ . وَأَعْتَقْدُ أَنَّهُمْ أَيْضًا .
مَاذَا كُنْتَ تَتَوَقَّعُ . هَاهُ . مَاذَا تَنْتَظِرُ يَا عِبْقَرِي؟!

أَعْرِفُ كَيْفَ سَيَكُونُ الْقَوْسُ الْجَدِيدُ خَاصَّةً مُوَالِيدِ
٩ دَيْسَمْبَرِ ١٩٨٠ . كُلُّهُ بَاسْتَقْرَاءٍ شَدِيدِ الْبَسَاطَةِ؛ حَيْثُ لِلْحَيَاةِ
تَارِيخٌ أُسْرِيٌّ مُشْرِفٌ فِي سِرْطَانِ الثَّدْيِ، وَبَقِيَّةُ الْأَنْوَاعِ بِالطَّبْعِ .
قَامَتِ الْقَنْفَذَةُ مِنْ مَكَانِهَا؛ لَتَضَعُ بِيضَةً بِجَوَارِ السَّنَجَابِ .
كَانَ ظِلُّ الْعَالَمِ مُهْتَرَأًا؛ فَاتَّخَذَتْ خَلِيلًا تَشْرَبُ مَعَهُ الشَّايَ
الْأَزْرَقَ . الْجَوْوُ كَالْحُضْنِ الْمَخْرُومِ، وَالْغَابَةِ سَمِعَتْ فِي نَشْرَةِ
الْأَخْبَارِ عَنْ حَرِيقِ قَادِمٍ سَيَطْهَرُهَا مِنَ الْقَشِّ . أَغْلَقَ السَّنَجَابُ
الْمِرْنَاةَ لِيَتِمَكَّنَ مِنْ رُؤْيَا ذَيْلِهِ لِلْمَرَّةِ الْأَخِيرَةِ . الْقَنْفَذَةُ تَحَاوَلُ
الْعُودَةَ، لَكِنَّ الْمَكَانَ غَيْرَ شَفْرَاتِهِ فَجَاءَ . الْبِيضَةُ: لَا تَزَالُ تَحْمَلُ
الْفُرْصَةَ . الْمِرْنَاةُ اشْتَغَلَتْ عَلَى مَشْرُوعٍ جَدِيدٍ يَذْكُرُ الْقَدِيمَ بِكُلِّ
خَيْرٍ . وَالْمَذِيْعُ قَائِلًا: إِلَى هُنَا سَيَدَاتِي سَادَتِي، تَكُونُ قَدْ انْتَهَتْ،
رَبِّمَا، نَشَرْتَنَا - لِلْأَخْبَارِ .

وَالْكَامِيرَا دَائِرَةٌ..

(١٦)

بما أنها رواية وحيدة وإن تعددت لها - وفيها الروايات. بما أنها أولى وأخيرة يقيناً؛ قلت أجعلها تبدأ في أي نقطة وتنتهي في أية أخرى. أجعلك تبدأ معي أو معك، وتختم معك أو معي!

ليت هذا العالم يسير كما في الرواية؛ بالقلم والورقة والجملة والكلمة والحرف وعلامات الترقيم المنضبطة الضابطة. هههه، أو كما تقدر لوحة المفاتيح أن تنضغط مطاوعة أطراف الأصابع. في هذه الحال، ليس مطلوباً منك حببي سوى ضمان حياة البطارية، ونفي أي عطب!

نعم. أن تكون رواية الروايات. ولم لا. اسأل أي عاشق محترف أو حتى هاويًا يحبو - عن رواياته المفضلة؛ سيحببك بعدد قليل إجمالاً، وبرواية أو اثنتين على الأكثر لكل كاتب سارب حاذق خارق بارق.

هل ما يُكْتَبُ مجردُ تَكَرُّرٍ واجْتِرارٍ وَتَصَوَّارٍ وَتَذَكَارٍ وَتَفْكَارٍ - وَتَصَارِعٍ عَلَى التَّسَارُعِ وَالتَّسَارُقِ وَالاِسْتِرَاقِ وَالاِسْتِرْفَاقِ - وَالاِسْتِحْماقِ وَالاِخْتِرَاقِ وَالاِحْتِرَاقِ وَالاِغْتِرَاقِ، ههههه. ربما..

يعني أريدها أولاً أن تكون رواية، ثم كتاباً حقيقياً يُقْتَنَى وَيُقْرَأ وَيَدْرَك، لا أن يستَعْمَلَه الأذكياء ثِقَالَةً تربط الورق فوق المكتب بحبل الجاذبية وتقص ريشه من قلب القلب فلا يطير، أو يكاد يحاول. كذا؛ لئلا يتخلى عن قصوره الذاتي الذي يمنعه تغيير حالته سكوناً أو حركةً بسرعة منتظمة في خط مستقيم.. (هو يعني العالم هيعمل ايه إن شاء الله بكل الروايات دي. ارحموا من في الأرض والسماء!!).

هنا حبيتي تحضرني تجربة مثيرة حقاً عليك أن تنتهي لها جيداً؛ إذ أحكيها بدقة؛ على رجاء خروجك منها بخبرة لا مثل لها في كيفية معالجة الأمور الحساسة والمسائل المصيرية والملفات الثعلبية:

من اقتراحاتي الأصيلة والمعاصرة وما بعد المستقبلية لإصلاح العالم التي قدمتها إلى الرئيس التنفيذي للشركة أن يكون أفراد الجيش عازفين بالفطرة، وأن يلعبوا تحديد الجيتار الكهربائي بأنواعه، والبيانو- شرط إطالة شعورهم - مرتدين زيهم

العسكري كاملا بقلنسوات أو دونها لا يهم. كما لا يتوقفون عن إثارة البهجة الصاخبة التي تهز خشبة المسرح وأركان المعمورة.

الجزء الثاني يتعلق باستمرار الموسيقيين في حفلاتهم بمعنى لا يتركون خشبات المسارح أبدا هم أيضا من أجل الراحة أو اللعب أو النساء أو المخدرات أو الكحول - أو الميديا بالطبع!

قدمت الفكرة إلى الرجل بالفعل، فاعتذر بشدة لارتباطه باجتماع في فرنا بالكوكب الأحمر، ووعدني بدراسة الأمر فور إنهائه رحلته الخاطفة إلى بعض أقاصي أطراف الكون الذي نعرفه وما سيكشف لنا من أكوان متوازية أو متقاطعة ظاهرة وخفية أو حتى أيديولوجية، هههههه.

بالتأكيد لم أشكره قط؛ إلا بعدما شكرني بحرارة - مفتخرا بحماسي الذي قال إنه يذكره جيدا بطفولته الناضجة، وشبابه الرصين - وشيخوخته الملونة بالأبيض الثقيل والأسود الشفاف!!

المهم، يئست أنا، لا. جهزت فكرة أخرى لحين عودة الرجل الفاضل بسلامة من رحلته. وبعدها قال إنها رحلة سريعة؛ قدحت زناد فكري اللدّن بكل أنواع الخمر حتى تستوي الرؤية.

قلت أقول له كي نعالج غرقَ الناس في بحور السوائل المنوية والمحيطات المَهْلِيَّة - لمْ لا نضبط المسائل ونحقنهم بالكَهْرَبَاء. أي نعم؛ وهي مادة راتنجية متاحة لدينا في المخازن. صحيح صفراء اللون، شبه شفافة - لكنها قوية العزل للكهربائية. تصوري المعجزة!!

العجيب في الأمر أنها أيضا أول المواد التي عَرِفَ تَكْهَرُّبُها بالذَّلك، وبهذا نضمن ممارسة طبيعية تماما للعملية. وaaa!!

كما أنها - فيزيائيا - سبحانه الله - العامل الطبيعي الذي تنشأ عنه بصفة عامة ظواهر التجاذب والتنافر التي تحدث في حالات معينة نتيجة الذَّلك أو التسخين أو التفاعل الكيماوي، أو نتيجة حركة نسبية بين المغناطيس ودائرة معدنية موصَّلة. خذي بالك هنا أن التيار الكَهْرَبَائِي نوعان: موجبٌ أو دافع، وسالبٌ أو جاذب. أحب كذا لفتَ انتباهك إلى أنه حال سوء الاستعمال تَحْدُثُ الكَهْرَبَةُ أي الإصابة بالصعقة الكهربائية. بالله عليك يا شيخة - بم تذكرك شبكة الأسلاك والوصلات تلك، أقصد الصلات، هههه.. أوووو، صغيرتي، ألن تتخلى عن خجلك هذا أبدا. بيبي: لا حياء في الكهرباء، ههه.

لا بأمانة، ما رأيك في عقل حبييك أيتها الساحرة الماكرة..
أريدك حَتْمًا أن تكوني فخورة بي - وأعرف قطعاً أنك هكذا
- لكن من حقي عليك أن يكون فخرك بي أكثر بكثير من
فخر رئيسي المسافر - رده الإله بسرعة - وإلا ما الفرق إذن.
ألا تودين اختبار أسخن درجات التجاذب بيننا. هه. ماذا؟!!!
ما بك حبييتي، هاه. لم لا تردين. آه. لا.

Ouch

(١٧)

بعدما بان عنه بداية طريق الرواية، طفق يحاول غورًا آخر، لا أعرف اغتواءً أم هروبًا، أم مجرد هاجس تشيتيني معتاد. قال: أليس يمكن أن يكمن السحر في الشرق مثلما كان يروج أصدقاؤه. ود لو يشرع في أساس جديد تمامًا: إما يوقد له، أو يحوله فينساك وليَصِرْ ما يصير!! (اعتلى المسطبة وبدأ يقتبص، حتى أصابته قيلولة)

قال إن السيناريو ربما؛ لا بل أكيد أنه فن غير مقطوع الصلة بالرواية. إذن، فلمَ لا..

حَصَرَ المشاكل في الظروف والمواقف وبعض اختلافات ثقافية وبيئية وقطعا لغوية. الغرب تقريبا استنفد أشياء كثيرة وإن بقي به ما فيه. ملعونٌ مَنْ يُصنِّفُني غريبا لمجرد أن اسمي جيمس، وأحب الأفلام الجيدة بجوارحي ووجداني وعقلي

غير المتعقل دائماً مهما كان جنسها ولونها ولسانها وخطها
المخطوط أو حتى المخطوط!!!

تجهز - كعادته - بكل ما يلزم، وانطلق مشروع الرواية
البديلة أو السيناريو الوقود؛ كأنه ولد يوماً على مقهى بوسط
البلد الذي فجّر الضمير، ثم استعد للخروج إلى نهايته
الأخرى في النهار الساكع..

ملحوظة للأصدقاء..

(لم يرغب في مدخل حياة الشرق الاستشراقية وإنما فضّل
مدخل غرب الشرق الغربي!)

سيناريو وحوار «دومينو، وآيس كريم»

أونص شاشة «لغز استحالة الأمور»

فيلم لـ

جيمس صن.ز.

البداية:

صمت، يخرج منه أصوات

غائمة

كلمة تُكْتَب على الشاشة

ثم

(تدرجياً، وحرفاً حرفاً بصوت

قرع طبول تدريجي، متباعد

الإيقاعات

مميز) (في منتصف شاشة

سوداء بالضبط، وباللون

الأزرق الزهري)، تقول:

ثم

كل شيء زائل إلا الفراغ

ضربة «بيانو» من ذوات

الصوت الغليظ

الممتليء (تقريباً)

اللقطة الأولى:

يفضل مكان عادي هاديء

بلا علامات..

الشمس في الأعالي، غير

واضحة بحدة، ويمر أمامها

ما يشبه خيوط العنكبوت

التي تتلاعب بها الريح، لكن

في كل الأحوال لا تتعد

الخيوط عن دائرة قرص
الشمس.

*غزالة تصلح ماكياها
في مرآة.

قطع ناعم على «عادل»
جالسًا في صالة الاستقبال
وهو يقرأ كتابا بهدوء، ثم
يصيح بحنوٍ على زوجته
«شذا» وابنه «كمال» وابنته
«سارة» ويقول:

عادل: مش يلا بقى والا
ألغيها، (وهو يضحك) ..

يردون تباعا:

خلاص آهوه، حالا،
إوعى، شيل إيدك من على
الزرار، (مع صوت تضاحك
جماعي، يُشْعِرُ بجو من
السكينة والحب) ..

قطع سريع على الأسرة
وهي في سيارتهم الحديثة
لكن متوسطة الحال (لا
قديمة ولا فارهة) ..

الزوجة هي التي تقود،
والزوج بجوارها ممسكا نفس
الكتاب، يقرأ هادئا، والأبناء
الذين في سن المراهقة
يتهايمسون معا ويضحكون،
وفي الخلفية موسيقى وأغنية
سيزيف لمجموعة «أجراس»
التونسية، والأطفال يقولون
لأبيهم:

ايه رأيك يا بابا نسمع
حاجة جديدة تبقى مناسبة
مع الجو دا، وهم يتسمون
مع إشعار ببعض تدمير متنوع
الإشارات.. هه

الأم؛ بيد تمسك عجلة
القيادة وبالأخرى تربت على
ساق عادل اليسرى، وتقول:

شذا:

يلا يا ولاد قولوا عاوزين
تسمعوا ايه.

الأولاد: مش فارقة،

بصوت واحد: أي حاجة
للهضة مثلاً.. فيبدأ عمرو
دياب يغني: قمرين دول والا
عنيه، وهما يمرحان ويمثل
كل منهما أنه الهضة ممسكا
بميكروفون ويندمج في الغناء
والتعبير عن مشاعر المطرب
العظيم أمام جمهوره الغفير!!!

قطع سريع على الشارع،
ناس تمر بجوار بعض،
والمحال تعمل، وضابط مرور
منشغل في دفتر يدون فيه..
فجأة، الكاميرا على
الشمس، في كامل بهاء نورها،
فيبدأ قرصها في طور الضباب
- فالعتمة؛ إلا من ضوء
خافت جدا ينتقل مع كل من
تركز معه الكاميرا كما يلي:

قطع سريع بلقطة عامة
للجو المعتم تماما.

تنتقل الكاميرا على أسرتنا
في السيارة، ينظرون إلى
أنفسهم ثم خارج السيارة،
ثم إلى بعضهم..

صامتين. ثم يقول عادل،

مرتبكا: بصوت لا منخفض

ولا صائح: يا سلام، دي

تحية الرحلة بقى والا إيه!

زوجته وأبنائه لا يردون..

بل لا يبدو عليهم سوى

القلق والخوف من مجهول

ماذا سيفعل بهم!!

شذا: الحمد لله إن رجلي

دايماع الفرامل..

قطع سريع جدا على

الشارع من حولهم، والضوء

يبدأ يعود طبيعيا بعد حوالي

نصف دقيقة، والكاميرا

تدور على أوجه المارة وهم

مندهشون؛ منهم من وجد

في يده حقيبة نسائية تبدو

ثمينة. ومنهم من وجد

نفسه ملتصقا بامرأة جميلة

من الخلف ويلف ذراعيه

حول صدرها. ومنهم من

وجد دفتر ضابط المرور

ممزقا تحت قدميه. الكاميرا

تدور- على بعض المحال

التي تبدو منهوبة

والفوضى تعمها، ثم
البنك، الذي يخرج منه
دخان، والعاملون به يهرعون
جيئة وذهابا، وضابط المرور
يخرج من باب البنك وهو
يكس أجرة شفافة مليئة
بالدولارات ويضعها في
سيارة شرطة كان يستعد
للاطلاق بها وحده!!

بعد عودة الضوء كاملا،
ينظرون جميعا لأنفسهم
ولبعضهم، صامتين، ثم
تتداخل الأصوات:

صراخ: حراميسبي. يَرْد:
إيه اللي انا بعملو ده. يا
انهار اسود. شيل ايدك يا
حيوان. شنطيسبي. صوت
مرتبك: لللا، مششش أنا
الي عملت كدا لللاأأأ،
ترد عليه: أومال أنا يا ابن
ال ش ..

لقطة عامة بعيدة من
فوق للشارع وسيارة الأسرة
تبدو غارقة فيه كنقطة بلا
لون. ثم قطع على شخص
عجوز رقيق الحال يقعد
جانبا على رصيف بعصا
يستند إليها؛ عصا غليظة،
رأسيةً تقف بين يديه، وهو
يسند وجهه إليها. وجهه
مجعد تماما، لكن طيب،
بشوش. صامت. يراقب،
ولا ييدي ردًا.

الكاميرا تعود إلى الأسرة،
والأب يقول:
الزوجة بتطلع بالعربية
وتمشي شويه، والولاد ببصوا
لبعض.
يلا بينا نكمل. والا إيه!!!
كمال لسارة: هيكون إيه
الي حصل؟
سارة: عادي، الكهربا
قطعت فجأة، عادي يعني.

كمال لسارة: كهربا في عز
النهار، بطلي هزار بقى.

كمال: أعتقد مفيش
حاجة، عطل مفاجيء
واتصلح. عطل ف أي حاجة.
المهم احنا نلحق مشوارنا.

عادل، يبدو متحيرا، ينظر
لأولاده بحنو المضطرب، ثم
يقول لزوجته:

عادل: شفتي التحول.

شذا: مش عارفة تحول
والا عودة للأصل.

عادل: يعني البشر همج
ومستنيين الفرصة!

شذا: مش شرط هما،
يمكن جواهرم حاجات
بتغلي محدش شايفها، لأ، دا
أكيد.

عادل: بس دا ينفع مبرر
نقله مفاجئة تامة شاملة
متناقضة.

شذا: الحياة زي ما هي
كنز الكنوز، هي كمان سر
الأسرار وكلها لعبكة.. المهم
بس يا حبيبي روق بالك
عشان خاطري، وبلاش
تركز كثير أوي كده..

الكاميرا على الزوج،
وهو أكثر حيرة..

عادل يفكر فيما تقوله
شذا، ويترك الكتاب. يضعه
في حقيبة صغيرة أمامه،
ويعود برأسه على الكرسي،
ويبدأ يفكر سارحا..

الكاميرا تنسحب بضباية
من وجه «عادل» على شجرة
تقف أمام مكتبة يجلس فيها
عادل أمام مجموعة كتب ثم
تتحرك معه الكاميرا واقفا
يبحث

في الأرفف، ثم يرى بين
الكتب القديمة نملة يتأملها
وهي تتحرك بثقة وسهولة،
فيستسم بسخرية، ويقول:

عادل: شكلك لقيتي الي
بتدوري عليه يا عفريته،
صوت ضحكته. طب
ساعديني، مش احنا زملا.

الكاميرا على باب المكتبة
وعادل يخرج منه.

قطع على شحاذ، يشبه
(الشخص السابق رقيق الحال
لكن أصغر قليلا طبعا) .
الشحاذ يضع كتابا جواره،
ويعزف على الباندينون
(ليبرتانجول آستور بيازولا)،
لكن ببطء شجي..

الكاميرا على عادل ووجهه
مستغرب لكن مستمتع بما
يحدث. لا يود مقاطعة الرجل
لكن لا يستطيع الانتظار حتى
يكلمه.

عادل للشخص () الله، بس

ليه!!

الشخص: باعتداد وثقة:

(يقول بالفصحى) السؤال
حياة، والإجابة موت، إذن،
ماذا تريد؟

الكاميرا تنتقل بين عادل
والشخص..

عادل: طيب قوم معايا.

الشخص: ضع شيئاً في
الصندوق أولاً.

عادل، يفتش في جيوبه
ثم يضع كل ما معه في
الصندوق. يقول للشخص:

عادل للشخص: يلا

الكاميرا على الشخص
وهو يتسم برسوخ بخيل
ويقيني لعادل ثم يشير له
لينصرف ويتركه وحده.

الكاميرا على عادل وهو
ممثل، وينصرف.

ثم لقطة عامة للمكان،
وعادل يسير وظهره
للشخص، والشخص ينظف
المقعد الأسمتي ويفرغه مما
عليه ثم يمدد جسمه فوقه..

الكاميرا تبتعد ثم تتحول
في حركتها من أعلى إلى شمس
شتاء وغيوم في السماء..

قطع سريع على رجل
عجوز جدا جدا وزوجته
بجواره في بيتهما؛ يتحدثان
بفرحة:

جيمس لزوجته: الولاد
جايين .

كلارا: يا رب بالسلامة،
أنا عاملاهم كل اللي
يحبوه بالهنا والشفاء على
قلوبهم حبايبي. ياريت ما
يتأخروش. وحشوني أوي
أوي يا روعي..

قطع على «شذا» وهي
تقود السيارة بتركيز،
والكاميرا تنتقل من وجهها
إلى بيت به أم وبنت مراهرة،
وولد صغير..

الأم لشذا: يلا يا شاذية،
عاوزين نلحق النهار، كل
زيارة لبابا كدا نتأخر عليه،
خلي بالك لا يزعل.

الكاميرا على الأم وهي تقول:

المراهقة لأمها: هههه،
متقلقيش يا دودو، أنا عامله
حسابي على كل حاجة،
وراكي رجالة. شذا تقول
لأخيها الصغير: مش كدا يا
عمر! هه. (تأخذه في حضنها
مبتسمة بحنان وتضمه
طويلا..)

قطع سريع على مكان
مقبرة الوالد. لقطة عامة.
الأم وشذا وعمر يقفون
بزهور، ساكنين، ثم
يفرقونها ويضعونها على كل
المقابر أمامهم.

شذا للأم: بابا وحشني
أوي.

الأم تأخذها في حضنها
باكية. وانا كمان يا شوشو.
بيكيان. يأتي عمر مسرعا
ويقول، الحقوا فيه هناك
طير تقريبا بيتألم.

الكاميرا على حمامة
علقت قدمها في ساق
زهرة من اللائي وضعوها
على إحدى المقابر، وتعاني
لتطير، ثم خافت حين
اقتربوا منها.

الكاميرا على شذا، وهي
تحاول فك الاشتباك، ثم
الكاميرا على الأم تضحك
بمرارة وحسرة على وحدتها
ووحشتها بدون زوجها
حبيبها، وتقول:

الأم لشذا: باباكي الله

يرحمه كان ييموت في الحمام
اللي بعملهولو بإيديه ويقوللي
إنتي اليمامة وانا كمان تقريبا
تقدري تقولي «ذكر اليمام»،
بس يا ترى مين بقى الصياد،
ونقعد نضحك واحنا بناكل
لغاية ما ننام، الله يرحمه.

الكاميرا عليهما الاثنتين.

شذا: اوعي. الأم: لا طبعاً
يا شوشو، أنا أصلاً بطلت
من زمان. (ثم انخرط في
ضحك عجيب) ..

الكاميرا على وجه عمر،
وهو لا يفهم.

صوت تليفزيون من بعيد
بيذيع أخبار
قطع سريع على الأسرة
في السيارة وهي تتحرك
في لقطة عامة ثم تتوقف
عند ريستهاوس لالتقاط
الأنفاس وتجديد التموين!!

ومن الأخبار الدولية
العاجلة: حصل العندليب
الشاب جيمس ص. ز. على
جائزة جرامي للمرة السبعين
ليخلد بذلك في التاريخ
والجغرافيا والفلسفة والفلك
كأفضل الفنانين المبدعين
إطلاقاً..

* قطع ناعم على شاشة
(تليفزيون) في المكان الذي
يعج بالكراسي الخالية
فتظهر مذيعة تليفزيون
«صارمة جداً» وهي تقول:

الكاميرا تقطع على وجه
عادل «ممتعضا» وهو ينظر
لشذا، فتنبّه له وتضحك
قائلة:

شذا: طب ليه مخدشي
نوبل بس. شكلنا مش
هنخلص أبدا من المؤامرة
العالمية الماسونية المستنقعاتية
دي. هههه

يضحك عادل ويقول
لشذا:

عادل: كنت بحسبهم
هيجيبوا سيرة عن اللي حصل
لكن الظاهر، تقاطعه - **شذا:**
مفيش حاجة يا حبيبي، أكيد
بس الإرهاق اللي مرنا بيه
الكام يوم اللي فاتوا مخلصنا
مش مركزين ويمكن كمان
يتيهأ لنا حاجات..

عادل ينظر للأولاد كأنه
يستنجد بهم..

عادل وهو متنفز: إيه!

انتي بتتكلمي بجد، يعني أنا
مغيب والا غبي والا كداب،
أمال لو ما كانشي الي حصل
دا كان قدام عينينا كلنا..

سارة: برافو عليك يا

مامي والله. **كمال:** خلاص
بقى يا بابا، يلا نجيب آيس
كريم!

ينزل عادل من السيارة،
و(الكاميرا معه) يتوجه إلى
الثلاجة، يفتحها، يسأل
شخصا كالحا واقفا أمامه عن
كيس يضع فيه الحاجات،
يرد الرجل بإشارة (مفيش)،
يأخذ عادل ما يريد صامتا،
ويعطي الرجل الفلوس،
ويعود (ومعه الكاميرا)
يفتح باب السيارة ويقول:

عادل: باينهم سرقوا

الاكياس في الهوجه.. يقهقه!!!

الكاميرا على شذا، تشكر
عادل بعينها، وهي مبتسمة
كعادتها امتنانا لرب الأسرة
الكريم كعادته، وتمتد الأيدي
مرة واحدة في الكيس، كل
يلتقط ما يحلوه.

الكاميرا، من فوق، تنزل
على السيارة أفقيا إلى الأمام
وهي تنطلق، وصوت الموتور
يهدر بإخلاص المتوجع منذ
ولادته!!

وكل شيء يستمر ومعه
الكاميرا دائرة؛ تراقب
وتقتنص كعادة ما يحدث وما
لا يحدث..

عادل: طيب معلش،
بصوا أنا عامل حسابي ف
معالق، أجيبها وناكل من
الْحَنْدَرِيس ده. **سارة:** ازاي
يعني يا سي بابا.

شذا: معلش يا ولاد،
 مفيش غير الرّست ده،
 اعملوا زي ما بابا قال،
 مش عارفين يمكن نقدر
 نرتاح تاني امتى وفين
 وازاي!! يلا بقى كلواهه.
 الأولاد في نفس واحد:
 يعنى

عادل: يا ولاد، الله! لازم
 نعرف نتأقلم مع الوضع
 الراهن والموقف المرهون
 - ظرف نستحملو زي ما
 يكون بقى. هه

الولاد في نفس واحد: يعني
 ايه وضع راهن ومدهون
 معلشي قلت إيه؟!!!

شذا وعادل:

يعني سمعتوا خندريس
وعديتوها عادي. هههه.
احنا كده تمام اطمنا على
مستقبلكوف بطننا زليون
طن آيس كريم..

ضحك فاضح من الجميع
على الجميع مع الجميع، ويمكن
للجميع أيضا!

(١٨)

هذه رواية قد لا تكون الأولى لي، لكنها قطعاً الأخيرة.
حاولت فيها قدر استطاعتي أن أضمنها كل المخطوطات التي
أود الاحتفاظ بها في مكان آخر إلى جانب مُفكِّرتي / قَدَري -
التي أخشى دائماً أن تضيع كعادتها وعادتي.

هذا العمل لا أطمع أن يقرأه أحد وإن كنت بالطبع أرغب
بل يسرني ذلك إلى حد ما. لا أتمنى أن يعيد قراءة الرواية أحد
مرة يتيمة فقط. لا أتطلع إلى أن يحتفظوا بها في المكتبات، وإني
لأعلم أنها ستلتصق بالرفوف إذ لن يَلْتَفِتَ إليها ذَكَرٌ نَمَلٌ، أو
الشَّيْصَبَانُ الذي هو أيضاً اسمُ الشيطان، هه.

كان ينبغي أن أقرأ كل الضروري لها لتصير كما ينبغي
فلم أتمكن. كان ينبغي أن أفكر لها وفيها كما يجب فلم
أستطع. كان علي أن أكتب كما أود وكما تود لكن ما باليد

حيلة سوى ما حدث. كان هناك أمل أن تتحول إلى أشياء جميلة وأشخاص رائعين لكن ما العمل؟ يبقى رجاء!

قلت أنتظر. انتظرت عقوداً. العقود تجر مشاغل أكثر وتراجيديات أقسى. قلت الروايات التي أحبها نوادر، وهي برأيي موجودة ومتاحة وتكفي تماماً. إذن، لن أكتب. أما الروايات التي لا أحبها فهن كثيرات بلا حصر، وهي أراها سبباً حقيقية؛ رغم انتشار معظمها بين الأيدي والأرجل. إذن سأكتب. لكن ما الفائدة، من كتبوا جيداً أو سيئاً كتبوا وذهبوا. إذن لن أكتب.

أحاول في روايتي العصية هذه أن تكون لي ولكم. مني ومنكن. بيني وبينكم. عني وعنكن.

قبل البدء تهيأ لي أنني متهيءٌ تماماً. أثناء الكتابة يزداد الشك في الجدوى واليقين في العدم. بعد الكتابة تأسرنى رغبة المحو في تنازع مع حاجة الإثبات.

هل أحب الرواية أكثر من أي شيء آخر؟ لا أعلم. أظن لا. هل أكرهها أكثر من أي شيء آخر. أعتقد. لا، إنني لا أعرف بالضبط. لعل هذه روايتي فعلاً؟ أحسبها كذلك. هل هذه رواية الآخرين. أزعم أنها هذا وذاك بأقدار.

ما أنا متأكد منه تقريبا أنني شرعت فيها، فصديقي يقول إن الكاتب الحقيقي كاتب حقيقي حتى لو لم يكتب - حقيقة - . لكن الجميل في عبارة الرفيق أنه شدد على وصف الكاتب الحقيقي؛ حتمًا لأنه في العادة كان يتفرد باللياقة، ومازال يؤمن بأنه كالقابلة، أو الأم؛ حين يُحْمَلُ نَصًّا، أو يُحْمَلُ إليه.

آآآ. دماغي سينفجر إن لم يكن قد انفجر بالفعل - وما أسير به الآن شظايا حطام أو بقايا سديم كوني لم يجد مكب نفايات ملائمة فضاق به الفراغ حتى اضطر إلى أن يستقر بي. أو ووففففف..

أريد بشدة أن أعزل بين أصدقائي الحيوانات في بحوحة الغيطان؛ لكن كيف سأحل مشكلة العيش؟!

(١٩)

كلما مر بأزمة في حياته حاول الاستدفاء بمقولات
الفلسفة والأدب بأن الكتابة دواء، تطهير. كشف، بل
تعرية. ضوء، صدر، ظهر، بطن. عملية ولادة، خلق،
بعث. إماتة، إبداع من العدم، إبداع من الوجود. نشاط
تنشيطي. نشاط فراغي. نشاط كسلي. لعبة تضاهي الدنيا
بكل لهُوها بنا وفينا. لم أجد شاطئاً للبحر الميت سوى
قطع وشظايا وحفلات رمل تشبه غيرها. هي رمل؛ لا
شيء يميزها غير أنهم قالوا هذا شاطئ ذاك البحر. شرع
- رويداً - يسجل بلا ترتيب - كل ما يرد على ذاكرته وكل
ما كان يحلم به وبعضاً مما لا يتذكره أو يجرؤ على الاقتراب
منه..

كلما كتب زاد همهم ونهمهم. لا يصدق ما يقولون، فعمد
إلى قول إنه يكتب سيرته الذاتية. لا بل سيرة ذاتية ليست
بالضرورة لي. أو لا سيرة ولا ذاتية ولا غيرية!!... آآآآه. لم
يصدق نفسه.. قال الأليق إعلان أنني أولف رواية كما

يفعل الجميع.. وأخلص!!!

كلما ظن أنه انتهى شعر بحاجة إلى استئناف العمل،
وفي الآن ذاته حاجة إلى بتره في أوقات معينة وأماكن محددة،
ودائماً..

لما استبد به الملل والكلل، رغم طُغُومٍ مُتَّعٍ متقطعة،
قال فَلَأَنْتَهٍ مما أفعل بأي شكل.. الحياة ذاتها ليست بتلك
الدقة، أو الدأب الزائد على الحاجة؛ كل ما فيها يعرف ما
يفعل وأين وكيف ومتى ولا يشترط لم.. بل حتى لا يشترط
أن يعرف!.. سنن كونية؟ قوانين طبيعة؟ منطق؟ حقيقة
عقل علم معرفة ثقافة حضارة؟ دين؟ قيم؟ مبادئ؟
أخلاق؟ تعاليم؟ لوائح؟ علة؟ تاريخ جغرافيا ديموغرافيا،
فلسفة وحكمة، تحليل وتعليق، استشراف وتوقع وانتظار
وتحقق. معادلات توازنات وحي وإلهام. معايير، خطط،
فوضى، نظام، عشوائية؛ الأواني المستطرقة، والأحداث
المُسْتَنْطَقة، والأناسيُّ المُسْتَحْمَكة، والحيوانات المُسْتَهْكَة،
والكائنات المُسْتَنْفَكة.. ههه..

لو ظللتُ أنتظرُ الكمالَ المُفْتَقِدَ المُتَّظَرِ أو النقصانَ
العاديَّ المُتَوَقَّعِ، قد أموت. ربما لا أستطيع الكتابة. آه. أو
ربما أستطيع الكتابة أسوأ، أفضل، لا أفعل هذا أو أفعل
ذاك.. ظل يكرر ما سبق حتى تكاثر فيه تعب الرأس

والنفس والروح والجسد. وفي لحظة حسم واستسلام، قرر ألا يكمل الكتابة، وأن يبدأ موسم الحصاد بمنجل، والتقاط الثمار بأسنان المشط..

كلما جمع الشذرات يعجبه شيء وساءته أشياء.. حتى أتم ذلك مرات ومرات لا يقدر على حصرها.. وصل إلى نتيجة أن يختار عشوائيا محاولة في المنتصف؛ لأنها - بتعبيره الدقيق - ستكون في بداية الغريزة، وانطلاق العنان، ونشاط الذاكرة المُستَحَاثَّة. وستجمع إليها نهاية جهد الجهد ومداخل الاقتراب من أبواب تمام التمام وتناول المتاح مهما حدث.. لم تعجبه فكرته التي اطمأن إليها. عاد إلى ترده بثقة؛ فقرر الاستمرار في الكتابة بالتوازي مع بدء الكتابة من جديد بالتوالي مع قطعها. كانت أول جملة خطها:

لا تَفْعَلْ الخطأ حتى تُنْهِيَ الصَّواب.

ثم،

لا شيء نهاية العالم

ولا أحد.

نهاية العالم: نهايته.

وانتهى..

قال كلُّ شيءٍ هو كلُّ شيءٍ ببساطة مهما تعقدت المسائل واشتبكت الصور وتداخلت العناصر. فليست الرواية وسواها تشذ عن ذلك وسواه. ههه. لا تقل لي التعميم والكلية والإطلاقية لا تمت لعلم بصلة ولا منطق. لأجلي، ولأجلك، ولأجلها، قل لهم جميعاً: فلترَفُقُوا في السَّير وغيره..

(صغيراً كنت أصنع لإخوتي روايات مُصَغَّرة مُصَوَّرة، مُعَبَّاة ومُغَلَّفة ببساطة، ولطيفة. بعدها تعلمت - وما فِتْنْتُ - ألا شيء فعلاً أَلْطَفُ من هذه الدنيا ذات العدسات والدُّود، والأجراس..

(٢٠)

رفعتُ يدي حين مرت حبيبة القلب وكُلِّي من تحت السماء؛
لأطلب مرة أخرى قطعة حلوى. كانت الغابة السوداء
تتزعزع من أطراف بون وفرايبورج، وكوخ هايدجر قد بدأ
يخلو من الكينونة المعتادة.

قُلْتُ الزمانُ كَفِيلٌ بأن يُسَوِّيَ المسألة، وكان الزمان بالفعل
عند الظن. انتظرته طويلاً جداً.. ولما كاد يصيبنني اليأس؛
وضعتُ رأسي تحت صنبور المياه الباردة، وحلقت ذقني
بسرعة أعمى يهز البردُ يديه، وفتحت الثلجة أبحث عن
زجاجة الدواء. كان القدر رحيماً بي - كعاداته - فلم يحدث
شيء ذو بال، ولم أعد أذكر بعدُ ما حدث.

الآن أحمل في حافظة الجسد أمفيتامين؛ لأظل متبها
للسقوط. السطوح عالية، والقيعان تنفش كالإيولا وبقية
الطواحين. وأنا مطلوبٌ مِنِّي تَبَّعُ الخيطِ الحرير، ومعرفة اسم

دودة القز التي أنتجتُهُ ورقم هويتها التسلسلي واسم الزوج إن وجد، وعنوانُ تاجر التجزئة.

وقفتُ أَعْنِي. صوتي أشبهُ بسكينٍ مرَّ من هنا قبل ذلك، وما زال طيفه الحراري يتمدد في نُخَاع الفراغ. أضع الكلام تحت الوسادة، وأنتظر الفيلم حين يبدأ.

لا حلم لي. لا عقل لي. لا يوم كما أشتهي بلا جورب. لا يوم بلا امرأة اليوم. لا يوم بلا دم وماء. لا يوم بلا ضوء العمود الذي في النهار. لا يوم بلا فأر التجارب. لا يوم بلا نَفْس اليوم. لا يوم بلا هيبين جدد، أو وداع.

يتركني جزءٌ بعد آخر، أَتَحَوَّلُ جزءاً بعد جزءٍ آخر إلى آخر وآخرين. يبحثون عن تفاصيل يسدون بها مسامهم في ليل الشتاء، ويُعوِّدون أنفسهم على الأحاديث في صمت!

(قيثارتني الآنَ ثلاجةٌ للمخدرات. وأنا مرتاحٌ تماماً - حتى الآن - لهذا الوضع.

إذا حاولتَ المزج بين الشمع والثلج والحجر، أعلم أن الجديد لا يزيح القديم من المركز إلى الأطراف. فبما أن الحياة ليست مضمونة: عادة تتم الإزاحات بين المراكز/ وعادة تتم الإزاحات بين الأطراف.

شأؤول، أضحى الرجل المشخ بالبياض؛ ليتشح بعد ذلك بسواد - ويصرخ - جيداً - أيام الآحاد؛ لأنه لم يعد أحد يهتم بموسيقى الريف. (الآن الوقت يهتز) ؛ لذا فالرهان على الهارد روك، والراب، والآران بي والبوب والهيب هوب، وعائلات الميتال والجاز وسوى ذلك.

لا أحد يهتم بـ جوني كاش. ولا شفّته الغاضبة، أو قيثارته المملوءة بالمسكّنات. إلى السجن ومنه. (حلقة النار والدجاجة المشحة بالديك)، أو الذي يؤذي نفسه؛ ليرى - إن كان مازال يشعر بالوحيد الحقيقي في عالم المجذليات: الألم.

بعد سنوات (وما السنوات إلا لحظات وما ذلك كله إلا نحن يا سلام) بدأت رحلة اكتشاف خطير. لم تكن زوجتي من ينام بجواري. ولم يكن أولادي يراعون في الفناء. ولم يكن الفناء خلفيا فقط.

كان الجرّار الزراعي المرباط على قمة التل الأزرق. وكانت مجموعة البط التي تخرج من لوحة وضعناها في الدرج لتمثيل الطبيعة.

وكانت جيون كارتر، تستعد لبدء اكتشافني؛ لنبدأ معا بناء قصور الأسطوانات، ونستطيع الغناء - ونحب الذي يبقى، ونعيش الذي يبقى، ونكون الذي يبقى.

بالمناسبة يا حبييتي، وكما تعرفين - رغم حالات ضعف
وموجات عجز - أنا قوي جدا وقادر تماما أن أعيش
بدونك.. لكنني لا أريد. أريدك. أريدك معي فقط. وأريدني
معك فحسب.

(٢١)

يوم صحوتُ قَزَمًا كبيرًا تعجبتُ. هل في حُلُمٍ ما أرى أو أنا
هكذا فعلا. منذ البدء أم هنا والآن. نظر سريعاً إلى روايته فلم
تعجبه. روايات الآخرين لم تعجبه كذلك. جلس يكتب رواية
جديدة ربما. يكتب قليلا ويعزف على جيتاره الإليكتروني
كثيرا. ويشرب أكثر بالطبع.

يخرج ليشتري مسدسا بكام للصور. البائع يسخر منه
وهو يجهز له بضاعته..

ماذا ستفعل به.

لا شأن لك.

أقصد؛ لو تحتاج مساعدة!

لم؟!

يعني إذا أحببت أي نصيحة أنا في الخدمة..

لا. وفرها لنفسك ومن معك.

البائع حرن على الصفقة رغم احتياجه وحاول طرد جيمس لكن القزم قفز على العملاق وأمسك بخناقه وكاد يقتله حتى رضخ وأتم البيعة بعدما دمعت عيناه واختنقتا بدخان البارود.

جيمس يستشعر انتصارا حقيقيا. مع ذلك يصر على استئناف ما بدأ. طيب، أما كان ينبغي أن أسأله كيف يعمل هذا الشيء. حمار كالعادة. أو ووفف. يعني المسألة ليست مستحيلة. أراهم في الأفلام يضغطون الزناد ويوجهون المسدس للهدف وحسب. عاد إلى المنزل فوجده باردا كالحا واسعا جدا بضيق ليس بغريب عليه. أعاد التفكير مرات وهو يعب الفودكا حتى استقر.

جلس على أريكته المعتادة. يفكر في الآلية؛ يضغط الزناد أولاً ثم يوجهه بدقة إلى الهدف، فانطلقت رصاصة في قدمه اليسرى. صرخ وتألم مغتاظا. المفروض أن توجهه أولاً نحو الهدف ثم تضغط الزناد يا غبي أو على الأقل تحدث الخطوتان معاً فيما أظن. كيف أفعلها؟!.

ما هذا؟! إن يدي أصغر من المسدس، ولا يمكنني التحكم فيه كما ينبغي. من أين إذن جاءت الطلقة؟! حاول القيام - توجع وصرخ من البيت؟! سمع صدى فوجّل. الآن يخاف للمرة الأولى في حياته؟! يااااه. جاء بباله أنه هكذا قد يتعطل عن عمله. فجأة قال كيف؟! أنا سأترك كل شيء أصلاً. عمل، هههه. لن تكف عن غبائك أبدا طالما حييت. فلتمت ببساطة. وتريح. تردد في أذنه رغبة العالم في رفع معدلات البطالة وتأكيد المسؤولين يقينهم في نجاح مساعيهم فأصابه غم آخر. لا أعرف حقيقة ماذا يضيرني ولم أنا غاضب هكذا. فلأنجح أنا في مساعي وكلُّ يُسرُّ بما حقق!!

الحديث السخيف شغله قليلا عن ألمه؛ ولم يشغله عن الهدف. حاول تضميد الجرح فانتهى عن ذلك مذكراً نفسه بما عزم. قال أين تلك الأيام التي كنت أرسم فيها ما أشاء. طيب، تُرى - أنسيت كيف أمسك بالألوان والظلال والنور، وكيف أحول لوحة بيضاء إلى حياة صاخبة بجدارة التشكيل. هادئة بحذر لا ينقطع. هاه. هل أجرب؟!

وضع المسدس في رأسه. وانطلق..

الواضح أن أهم حاجة الصورة.

بقع الدم تبعثرت رتوشها على أريكته فتغير لونها بالطبع.
لكن رغم هذا، هل هي الآن كما هي فعلا ببعض اختلاف أم
صارت غيرها تماما بعدما حدث؟!

هو ذاته لا يعرف أن صار هو هو المفقار أو الفارق أم
بقي؟!

تساءل هل كان ينبغي أن يُقتل حتى يظل يتساءل؟!

الأجمل بحق أن كل شيء فيما عدا ذلك ظل كما هو فعلا.
يعني مثلا الحمام كما هو. المطبخ البعيد عن المسرح ظل أيضا
كما هو. غرفة النوم. الشرفة. مكتبته. باب الشقة بالطبع.
الأرض والستائر وبقية الأثاث في أمان. الأعجب أن جدارا
واحدا فحسب طالته بقع دم متناثرة وشكلت هي أيضا
صورة متوائمة ومناسبة جدا لصورة الأريكة الجديدة القديمة،
ولوضعية الاستبطان التي بات عليها جيمس - البطل القزم
- الذي تحدى كل ما قبله من سخافات كان آخرها محدودية
ذكائه - فضلا عن يده الصغيرة التي ما انتظر يوماً أن تصير
أكبر مما يجب!

(٢٢)

أذكر الموتى. أتذكرهم جميعاً؛ وهم يموتون جيداً. أذكر أنهم ماتوا كما ينبغي لهم. وأني كما لا ينبغي لي لم أمت كما ينبغي. لم يتبقَّ منهم حتى أرقام هواتفهم أو عناوين الأكشاك. كيف أستدل على من يكي الآن ومن يريد أن أحضر له شيئاً من السوبر ماركت. كيف يمكن أن أساعد أحداً الآن؟ كيف لهم أن يحدثوني مثلما كانوا يفعلون؟ كيف أسبِّهم على نذالتهم وهروبهم؟

متى يكون لي شجاعة مثل الذي في صباح الرابع والعشرين من كانون الأول ١٨٨٨ تقريباً فعَلت الشرطة مثلما لا تفعل؛ فأنقذت فان جوخ بعد أن بتر أذنه اليسرى بشفرة حلاقة؛ ليستريحَ ويستعيد اتزانَه حتى بعد سبعة أشهر أخرى. ليستريحَ، ويستعيد رُوحَ لونه الخشبي. ليستريحَ من المسيح. ليستريحَ ويستعيد «فان جوخ». ليستريحَ، ويستريحَ،،، ويستريحَ،،،، ويستريحَ..

أو كما يفعل **Pyotr Pavlensky** - الفنان الهارب من معهد
الطب النفسي في موسكو؛ ليركب السور عاريا. يقطع على
مزاجه أذنه اليسرى الأخرى بسكين مطبخ كبير، ويُعْني /

«السكين يقطع شحمة الأذن من الجسم، بينما
يفصل مدار البرانيت هنا كائنًا عاقلًا من
مبائين. أمّا الشرطة، فتعطي نفسها (كالجميع)
صلاحيّة تمديد العتبة بين العقل والبنون، وكل

شيء» - وليقول لي بعد ذلك: أَتَذْكُرُ حين قمتُ بخياطة
شَفَتَيَّ. وحين وقفتُ عاريا أمام مجلس النواب في سان
بطرسبرج - ملفوفًا - بالأسلاك الشائكة؛ لِيُفَيِّقَ مَنْ بالساحة
الحمرء، وأنا أدق مسهارة في خُصَيَّتَيَّ؛ لِأَتَقَرَّبَ - من بيض
العدالة!

(٢٣)

رحلاتهما إلى جلسات العلاج كانت كأنها إلى نادي التعري، ههههه. كلارا، زوجتي، الغالية، اصطفتني من بين رجال العالم لأشرف على رحيلها عن هذه الدنيا رغم يقينها بعشقي لها، ورؤيتي نفسي فيها وبها - جيمس الذي بحق - دائماً - سلطان قلبها فوق سائر العروش. مرضها اللعين وظَّفَهَا في غير مكان الإنسان العادي. أوقف - أو كاد - كل مفردات الحياة المتوقعة لبنت في العشرين، ليحل محلها قواميس الألم ومعاجم التخوف لا متناهية الأجزاء.

اعتادا أن يجعلنا جلسات العلاج الكيماوي لسرطان المبايض الفاحش هذا «خروجية» - هي صحيح لا تكون إلا في مستشفى، وبين وأمام أطباء وأطقم مساعدة؛ إلا أننا قلبنا الجو لصالحنا، والألوان والأشكال المحيطة لتلعب معنا لعبتنا تلك.

قبل تحركنا من بيتنا، لا نبرح السرير. نُصر على تأكيد
حفظنا كل تفاصيلنا جيدا؛ بحب ووجل وإجلال للحظة،
ولنا. وبيعض امتنان لَقَدَرِ أبى أن يُصْلِحَ ولو قليلا من
أخطائه - كما نرى - ، قبل أن تَنْفُذَ فيه سهامُ قَدَرٍ آخر.

نأكل معا نشرب معا نضحك معا نبكي معا ننصت معا
نلغو معا نلهو معا نصحو معا ننام معا.

ودائما كأنها آخر ليالي القمر!

نخشى ذلك لكن أمل أن يكون هناك يقين حقيقي وجميل آتٍ
هو ما يجاوزنا جسر الرعب الممدود منذ ولدت زوجتي مروراً
بزواجنا وبرحيلها بعد ذلك مع استمرار الجسر في التطاول!
يوماً ذهبنا إلى الموعد متأخرين كعادتنا، فكان كل شيء كأنه
فاتنا. نبدأ في التلطف مع الجميع حتى نأخذ حقنا الفاتت، أو
حق أحد آخر لكن بدون ظلم.

الآن نبدأ. تقول الممرضة. تستلقي كلارا على السرير.
الغرفة مزدوجة؛ فالتأمين الصحي لا يوفر غرفاً راقية منفردة
مستقلة شاردة واردة إلا للكبار في الدرجة والمستوى على
مقياس انفشاخ المكتب!

المهم أننا سمعنا أصواتنا أزعجتنا. فهمنا أن جارتنا مريضة زميلة وحكمت الظروف أن تصطحب معها ابنتها التي حلا في عينيها الملهى فلهت بضمير الأطفال البريء الساذج.

بدأنا أنا وكلارا ننزعج بحق، ونتهكم على الأم التي لا تستطيع التحكم في دلح البنت ونحن في بقعة مقدسة على هذه الأرض الطاهرة بين هؤلاء الرائعين.

شفتي الناس الهبلة. مُصْرِّين يبقوا مزعجين ومقرفين بإبداع.

معلش يا بيبي. بس عندك حق على فكرة. البنت دي دلوعة أوي زيادة عن اللزوم. مبطلتش خبط ولا زعيق ولا مياصة من ساعة ما شرفوا جيراننا الأفاضل هادول.

طب مش كانوا يحطوهم في ركن العائلات أو الألعاب أحسن. بصراحة أنا مش طايقهم هما الاتنين وشكلي هشخط فيهم أوع الأقل أطردهم برا ونخلص.

يا بيبي معلش عشان خاطري. يعني هو احنا هنعيش هنا. شوية يعدوا زي ما يعدوا. يا نكون خلصنا ومشينا يا إما يكونوا مشيوا هما.

أصل يا روحي بصراحة كذا مينفعش. دي مستشفى
المفروض محترمة.

اشمعنا دي بس اللي هتبقى محترمة يا حبيبي. عشان
خاطري متحطش في دماغك.

أنا مش حاطط يا بيتي، بس البت هي اللي بتحط صريخها
ف وداني وتركّبي فرقة عفاريت.

حقك عليا، مترعلشي بقى، ايه رأيك تروح تاخذ سيجارة
سريعة على ما تيجي الممرضة ونبدأ. ومتقلقش، شكلها
هتأخر. شوف احنا بقالنا أد ايه مستنيين.

لااااا، هروحلهم، هو احنا ناقصينهم كمان.

تَحَرَّكْتُ من عَش الزوجية المؤقت في يسار الغرفة إلى ساحة
التعذيب في يمينها. أَلقيت التحيّة على جيراننا الأعزاء والغيبظ
يَأْكُل لسانِي. نظرت خلسة لأرى هذه الكائنة الثقيلة. تعجبت
حين وجدت البنت ممدّة في السرير مهتاجة ومتوجعة من كل
شيء، والأم جوارها تحاول تهدئتها بكل الأشكال. أشفقت من
ذلك. سألت الأم إذا كانت في حاجة إلى أي مساعدة. (وظللت
أدور في ميدان السائل).

قالت إن ابنتها الصغيرة هذه لا تقوى على المحاليل وأوردتها
ضعيفة وجسدها دائما شاحب، غير أنها دائما خائفة لكنها عادة
تستسلم في النهاية. لا تقلق. لا داعي لأي تعب. أشكرك.

خطوتُ نحو البنت، وَحَلْتُهَا ابنتي. مسحت على شعرها،
وَرَبَّتُ على كتفها الذي يغوص في الوسادة.

صباح الخير يا قمرية. إيه مالك يا قلبي..

صباح الخير يا عمو. أنا خائفة.

من إيه يا .. اسمك إيه صحيح.

آية.

الله. إيه الاسم الحلو ده. بس إنتي على فكرة أجلي.

متخافيش أبدا من أي حاجة. ماما جنبك وكلنا حواليك.
متخافيش، هاه.

تعثر لسانها وهي تقول: سرطان الدم دا رخم أوي.

ايه. انتي...

أيوا، آية عندها دلوقتي تسع سنين، من وهي صغيرة
بتعالج بس لسه مفيش تحسن. قالت الأم.

أردت أن تنشق الأرض حرفيا وتبلغني بالرعد الذي ضرب جسدي كله بلا رحمة ولا حكمة.

آيه حبيتي متخفيش. (جسدي تزلزل بعنف ونجحت أخيرا في اعتقال حفنة دموع)

أصل الحقنة والكانيولا يا عمو بتوجع أوي. قالت وهي تتلثم في كلام لا تستطيع تحمل وزنه.

غبتُ قليلا، وعدتُ لها ببعض الحلوى والمشروبات والألعاب. فرحت الأم قليلا؛ ففرحتها الأكبر تأكيداً ستكون بشفاء صغيرتها تماما. أما آية، فقد طارت بهذه الأشياء البسيطة جدا. ظهر في عينيها شوق وشغف وتلهف على العبث بما أحضرت لها؛ لكنها المسكينة بدأت تدرك مبكراً أن ليس بمقدورها فعل كل ما يحلو لها كبرت في هذه السن.

بدأت أفتح لها عبوة عصير، وبعض الحلوى، وأناولها لعبة. نظرتُ إلى أمها وهي تنزع ابتسامة طفلة كبيرة، فأشارت إليها أمها بالموافقة. مدت آية يدها، وأمطرتني بكلمات الشكر وعبارات الامتنان، وقبلات البراءة بأوجاع الفرح.

قَبَلْتُ جِيبَها. رَبَّتُ كذلك على ظهرها بعد أن ساعدتها في الاعتدال قليلا بجلستها عساها تجد في ذلك الوضع

الجديد بعض راحة. وجهتُ إليَّ عيناها الصافيتان المنكسرتان الصامدتان أثمن ما لقيته من شعور بعرفان.

استأذنتهما في الانصراف وبأئني في خدمتهما حال تأمران. عدت وأنا ناظر إلى الأرض ثم إلى السقف بحسرة. زوجتي كانت في غفوة خفيفة. اقتربت منها بحرص حتى لا أوقظها. أخذتها بين ذراعيّ، ونفخت فيها من روعي. قَبَّلْتُهَا طويلاً؛ كأنني أهرب من قول شيء.

(٢٤)

أكتب لا لأتحكم تماماً في حيوات هرباً من التحكم في حياتي.
 أكتب لا لقدرة أو عدم قدرة. أكتب لا لأتسلى معكم أو بكم أو
 أسليكم. أكتب لا لأقول. أكتب لا لأكتب. أكتب لا لأتصنع
 الصدق والإخلاص. أكتب لا لأدعي المعرفة والوعي. أكتب
 لا لأحاول الوصول. أكتب لا لأدعي الشجاعة والاجترأ
 والشفافية وكل هذه العائلة. أكتب لا لأنظر أو أنظر. أكتب لا
 لأفهم ما لا أفهم وأدرك ما لا أدرك. أكتب لا لأنني لا أعرف
 شيئاً آخر. أكتب لا لشهرة تقليدية وغيرها. أكتب لا لأتنفس.
 أكتب لا لينقطع نفسي. أكتب لا لأنني لا يمكنني الاستغناء
 عن الكتابة والقراءة حتى. أكتب لا لأقول إنني أكتب. أكتب
 لا ليقولوا إنني أكتب. أكتب لا لأملأ صفحات بيضاء أو
 بدرجات الأصفر. أكتب لا لأهوى بمفاتيح الكتابة والذكورة
 والأنوثة. أكتب لا لأنني أحب مسكة القلم الرصاص أو
 الجاف أو الحبر. أكتب لا لأفهم أو لأكتشف أو نكتشف معا.

نسيج اللعاب. أكتب لا لألعب. أكتب لا لأتعب أو أتخلص
 من التعب. أكتب لا لأنغمس في شيء عن شيء. أكتب لا
 لأختلس. أكتب لا لأقتبس. أكتب لا لأحترس أو لا أحترس.
 أكتب لا لأنخرس أو أنحبس. أكتب لا لأطير... أكتب لا
 لأكون كثيراً أو كبيراً. أكتب لا لأكون خطيراً. أكتب لا لأكون
 حميماً. أكتب لا لأكون إنساناً. أكتب لا لأظل وحدي. أكتب
 لا لأستحضر. أكتب لا لأحضر. أكتب لا لأغيب. أكتب لا
 لأكون كالشمس أو القمر. أكتب لا لأخطو في اتجاه القدر أو
 عكس انفراط البشر. أكتب لا لأكون كالحجر المنقوش عليه
 طلاس وتمايم وثعابين. أكتب لا لأحصل من المال ما يغنيني
 عن السؤال. أكتب لا لأكون في غير حاجة. أكتب لا لأقع
 في حاجة. أكتب لا لأشعر بالسكون أو الحركة أو السلام
 أو الحما. أكتب لا لأستحم. أكتب لا لأرحل. أكتب لا
 لأستشهد أو أعتقل أو أحرر. أكتب لا لأنني سئمت الضجر.
 أكتب لا لأنني أنهيت الحاجات والأشياء والأسماء والصور.
 أكتب لا لأهرب من برامج الواقع والخيال والطهو والكرة
 وطبيك الخاص والأبراص والأغاني والرقص والخلاعة
 والمناعة والأبراج واحتساء الشاي مع المعتوهين أمام كاميرات
 البهاليل. (لا أكتب). هههه..

أكتب لا لأتمسك بشيء أو أدع شيئاً، واحترازاً سواهما.
أكتب لا لأهرب من تسونامي مقاطع الفيديو وشركائه. أكتب
لا لأهرب من التماثيل الحية وبراكين الجثث. أكتب لا لمجرد
أن أنشغل. أكتب لا لأختبيء من الميديا التي تنصب نفسها
وسيطاً حكماً يصير حاكماً غالباً محكوماً مسوقاً بعضاً أعمى
مختاراً مجبراً. أكتب لا لأتذكر. أكتب لا لخطاب. أكتب لا
لأضع الصيد في القيد. أكتب لا لأنني أو لأنها. أكتب لا لأن.

أكتب لا ليستفيد القارئ احتمالاً، ولا ليستفيد الناشر
يقيناً. أكتب لا لیسرقني الناشر والطابع والموزع والمعلن
والعارض والناقد والقارئ والكاتب والصحفي والمذيع
ومنظم الفعاليات والباعة والمشترون والمتفرجون واللاعبون في
أعضائهم وحاجات غيرهم كعادتهم. أكتب لا لأعمل؛ العمل
ذاته كذبة هائلة لا يعلم صدقها إلا الحقيقيون؛ إذا كانت الحياة
ذاتها كذلك، فما بالك بعنصرين فحسب فيها. هاه؛ لا أسمعك
تحدثيني ثانية من فضلك عن الكتابة أو العمل ورفاقهما من
عناصر العناصر هههه، أو عن الحياة بالطبع. اتفقنا!!

**Clara, How about being just as jazz performers; Don't
say but play -**

And not crying while trying to stay!

(٢٥)

أنا: حيوان منوي، وبويضة، وحاجات أخرى لا داعي
لذكرها الآن. دع كل شيء من فضلك لوقته، وحالته.

أنا، لي حياة بالطبع. إنسان يعني. لي آباء وأمّهات. عادي.
اثنان منهما قَدْفَانِي، وَجَرَيْنَا مَعًا مُتَفَرِّقِينَ فِي التِيهِ الْبَيَانِي الْجَمِيل.
يمكنك تشبيهنا بقطع جبن في مصائد للفئران. ولن نغضب
إذا شبهتنا بالفئران. لكن أرجوك لا تبالغ في تشبيهنا بالمصائد.
يمكنك أيضا أن تطلق علينا جرذان الصحاري الشاسعة ولا
تخاف؛ ما فائدة الوراثة والطفرة والقراة والنسب والمصاهرة
إذن!!

طبيعي جدا. درستُ وما تعلمت. أكلتُ وما تَغَذَّيْتُ.
رضعت وما فطمت. قُمِّطْتُ وما نَطُفْتُ وَلَا حُمِيت. وهكذا
حييتي تستطيعين الاستمرار في جمل زميلة؛ لو تملكين وقتا
كافيا لإشعال عود ثقاب. واحذري -

إِذَا نَاءَ الشَّيْءُ وَاسْتَنَوَقَ الْجَمْلُ؛ فَقُلْ عَلَى الْخَيْتُورِ السَّلَامُ..

أحب ولا أكره. أعتقد أنني أحب جيداً. صدقيني. ولا كراهية حتى كما ينبغي للخالدين. التمسني لهم العذر؛ جاءتهم أوامر التهجير صباح العيد فهُرَّعُوا تاركين الأضاحي مُعَلَّقة.

لست من الأجيال العظيمة التي فعلت أشياء كثيرة كبيرة، ولا من الأجيال الجميلة التي لا تبحث إلا عن الطعام والشراب والمال والسفر والتحقيق والإنجاز والتملق والتزحلق والتحللق والتشَبُّق والمتعة والقفز والامتلاك والتكديس والجنس والتخلص والتملص والنكوص والدعاية والهواء، وسائر وصفات البيض المُخَصَّب.

سمعتهم يرددون أقوالاً عن خَلْقٍ وانبثاثة وتوالد وتلقائية وذاتية. عن نمو ونضج ومراحل وموجات. عن كليات وجزئيات. عن نظام وفوضى. وعن جنة دخلها واحد وخرج منها آخرون. عن كون وأكوان. علوم وآداب وفنون ومعارف وحضارات وثقافات ورسالات. أنبياء، وممالك الأرض والسماء، وديانات وأعراف وعادات وتقاليد وتراث وأعماج وحروب وكوارث. أعمال وسعادة وحاضر وماضي ومستقبل وحياة وموت - وعنهم وعني. ولم أقنع.

أحب ولا أكره. أعتقد أنني أحب جيداً. صدقيني. هل
لأنني أحببت شيئاً أو أحداً فقد خنت بالضرورة سواءه، أو
ينبغي أن أخون كما يجب حتى يتمثل لك الإخلاص الذي
تقولين.

تنورتك لا تنحسر عن ساقيك كما أحب. ولا قميصك عن
صدرك. ألا تخلصين لي أنا أيضاً!

(٢٦)

كما اعتاد ظل يسير حذاء النيل. قابل كلارا. عرضت عليه نفسها. تردد ثم قال ولم لا.

(حقيقة لا أعرف من عرض ماذا على من. أأكون قد عرضت نفسي عليها حين رأيته صدفه وهي تلميذة! احتمال كبير يا أستاذ. هههه. أم التقينا فجأة فالتقينا في الموعد تماما؟!!! أعتقد لا أهمية لعين الأمر، أنا كتبت السطر الأول وأنهيته وانتهينا. يكفي أو لا يكفي؛ من يدري؟!)

اتفقا على السعر والمكان وبقية الأشياء. أخذها بين ذراعيه. ناما. توجعا قليلا. ثم تقافز سلاما. أما هي؛ فلا يعرف. بدأت فترة الحديث التي تلي التلذذ الغريزي.

ما اسمك؟

كلارا.

الحقيقي!

كلارا، صدقني.

ياااه، يعني لا تخفين شيئاً حتى اسمك.

طبعاً.

طبعاً نعم أم لا.

ههههه، أنت ذكي.

وأنت لم تحدثي.

طيب.

أهكذا؟!

ماذا تريد يا...

جيمس.

أعتقد أن اتفاقنا تم.

أحسب أن الوقت لم يحن بعد لانصرافك.

لاااااا، أنا لست كغيري.

أعرف.

إذن!

لا شيء..

إذن إلى اللقاء. شرفتني معرفتك يا عزيزي..

بالله عليك انتظري.

ليس لدي وقت، وإن كانت طاقتي لا تنفذ.

ألم أقل لك؟

ماذا؟

أرجوك انتظري.

هاه..

أنا وحيد، وليتك تبقين معي الليلة. الليلة وحسب. لازم.
عشان خاطري.

لا خيار لي. وعلى فكرة، مفيش شيء لازم ولا حاجة ولا
أي حد. كله مات وكلو برضه عاش عادي يعني أسرع من
طريقة الصوابع.

عارف. طيب.. بس دي مسألة فيها نظر، المهم،،،،، إذن
ستبقين.

لا، مضطرة أن أذهب، ورائي آخرون..

زبائن؟!

هم وغيرهم.

لا أفهم.

لست مضطرا، ولست مجبرة أن أشرح!!

لم أنت جافة على غير رقتك الطافحة؟

ليت الظاهر كالباطن.

ماذا؟

ماذا أنت؟

كلامك غير متوقع وعجيب.

أنت أعجب، وأنا أعجب وأعجب. هههه

كنت أعلم أن وراءك سرًا.

من فضلك، دعني أذهب.

أرجوك..

ألو، حبيبي، تقريبا انتهيت وفي طريقي. نعم، كما اتفقنا.
أوكي. أحبك حتى أعود. قَبْلَ أَلْبَا. قل لها مامي متيمة
بمَلاكِهَا. وَقَبْلَ نَفْسِكَ حتى تحبني أكثر. وأنا أيضا. تشاو!

زبون؟!

ههه، لا، إنه جيمس، زوجي.

ماذا؟!!!

ما في ذلك؟!

ءءء اعتقدت أن ال، لا، أنا لا أفهم..

أُطْلِعْكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ لَكِنْ شَرَطْتُ أَنْ تُدْفَعَ لِي تَعْوِضًا عَمَنْ
سَأَفُوتُهُمْ وَرَبِّمَا أَخْسَرُهُمْ أَبَدًا.

موافق.

إِذْنًا، هَاتِ مَا بِيَدِكَ أَعْطِيكَ مَا فِي صَدْرِي.

ههه، كلي أذان وعيون وقلب؛ ملكك أنت وحدك فقط..

ما علينا. هه. يا عزيزي أنا امرأة عادية، سارت حياتي بدايةً
كما كنت أرجو، لكن بعدما آنسنا ملائكتنا «آلبا»، أحسست
وكأن الشياطين تعبت برأسي ونفسي وروحي.

لهذه الدرجة..

لا تقاطع. اتفقنا!

اتفقنا.

لا تسأل عن السبب. فليس كل شيء له سبب. حتى لو كان، ربما يكون مجرد علة ظاهرة، أو ليست وحيدة، هذا بالطبع إذا كانت علة حقة.

كلامك لا يقول أبدا إنك عمة، أعذر، لكن أقصد «فتاة ليل عادية»

ماذا قلنا؟ هاه. عموما، أنا درّستُ الفلسفة والأدب المقارن والموسيقى كذلك. هذا ما أستطيع تذكره الآن. ههه. تشعل سيجارة، بعد اعتدالها في جلستها على حافة السرير، وظهرها له.

يعني لم يخذعني حدسي.

بمعنى!

لست مومسا، عمة، أعذر، ولست كبقية النساء. أعذر مرة أخرى عن كلام منه الجارح ومنه ما يبدو قديما لكن لا ضير. هو صادق وحقيقي، وكفى.

المهم؛ بعد تخرجي، حلمت بتحقيق أحلامي كافة في واقع صدمتني كواييسه من ذوات العيون المنتنة. عادي جدا. بنت. صغيرة. تقدر أن تقول بريئة. نقية. حاملة. واضحة في ما تقول وتفعل. وسط عالم جميل، يضع كل المساحيق على جسده، ولا ينسى أن يرميك دائما بحمض يذيبك. يخفيك. يقتل مباشرة

بحروق وحشية مهينة. ثمنك لا يتعدى لديه لحظة الضغط على الزناد بعد توجيه الفوهة نحوك!

يااااه. كل هذه المرارة. أنا أيضا أشعر مثلك، وإن كانت الحياة أحيانا تلتفت إلى أخطائها، وتغفل قليلا عن أخطائنا، وإن شئت تخطئنا.. يعني رغم كل شيء يمكننا النفاذ.

بالطبع كلامك يبدو واقعيا. أو معتادا. لكن ما لا تعرفه، أن هناك من يولدون وفي يدهم كتابهم الثقيل بلغته المندثرة - المطموسة حروفها، واليد الأخرى تشرف على مراسم التوقيع فقط.

قبل أن أنسى أو تفهم أي شيء مني على غير ما هو، فإنني أعاني منذ كثير لإصابتي بالاضطراب ثنائي القطبية. أعتقد بسبب صدماتي المتكررة ولأنني أيضا يدعي الأطباء والناس «حساسة». لكن السبب الرئيس هو تاريخ عائلتي المشرف وقائمه الطويلة المتخصصة في تلك الفصيلة.. هههه، المهم - هذا المرض يأتي باضطرابات، وهوس، واكتئاب، وابتهاج.. تغيرات غير متوقعة أو متوقفة على الحالة المزاجية المعتادة، والسلوك السالك السلوك - ههه. شعور بالضييق الشديد وصعوبة في مواجهة الحياة. وتحملها.

ههه، تحملها! يعني الي مش يقدر يتحمل الحياة دا مريض. أنا قلت كدا برضه. طيب أنى لنا بمستشفى يسع كل هذا العالم المتضضع!!!

ما علينا. أكمل لك، الذُّهان - الانفصال عن الواقع، زيادة النشاط والطاقة، والإثارة والنشوة.

إذن هذا يفسر أداءك الخرافي الليلة، ههههه. أمزح فحسب. المهم أكمل من فضلك.. ينظر إليها بلهفة غريبة عليه، وباهتمام أحسه حقيقيا وأغرب من اللفهة التي أدهشته قبلها.. كما أنه غضب من نفسه لقوله لها ما قال باعتبارها موسا حاذقة - يشكر لها زبونُها انبساطه.

المهم، ثرثرة، تشتت، تسارع الأفكار، الانخراط في علاقات حمقاء وخطوات رعناء، الإسراف في الشراب، في الشراء، في ممارسة الجنس، فترات ضغط جنسي شديد، إدمان المخدرات والكحول، ارتفاعات وانخفاضات حادة في العاطفة والشعور، تقلبات عصبية مفرطة، تصرفات مدمرة، محاولات انتحار، ههه، وقد يرجعونها مع الوراثة إلى تغيرات عضوية في الدماغ. لا عليك.. أكمل لك - ضعف الأداء.

لا تسخر. هو مرض كغيره، لا يعرفون سببا مباشرا له. تكهنات. وإذا أردت أن توقف الإهانة قل محاولات. استبصارات. يعني. باخذ دوا، بس الظاهر مش شغال عشان الدكتور عايزني!!

کلا، ا.

نعم.

لا تذهبي أرجوك.. أحتاج إليك فعلا وبشدة.

منذ متى؟! تَوَّأ التقينا. صحيح تحدثنا، لكن أهذا كافٍ!

یکفینی.

أما أنا فلا. أنا حرة!

لم؟!! أحببتك صدقيني.

انظر إلى نفسك. أنصت جيدا لما تقول من فضلك.

مالی!

هههه، مش قصدي. بس علاطول كده. ازاي.

مش مهم

عموما يمكن بعدين، سيبني دلوقتي ألحقهم

أرجوك لا تذهبي. أرجوك..

شعرت بشيء كامن تجاهه. ترددت. عادت إليه. دفنت
رأسها تحت كتفه اليمنى، وهو أحاطها داخله. أحسا برقائق
صمت تغطيها بجبال من كلام طائر. ضحكا. ثم بكيًا.
فالصمت الآخر..

لما حان وقت الكلام، نظر إليها بدهشة وسكينة، ثم،
غازلها كثيرا، وانخرطا في هو طاهر.

ظلا هكذا حتى قال جيمس مزهوا بابتسامة وادعة خجلة
ثم مستحاة:

على فكرة، أنا بحفظ شعر غزل عربي مشهور وعظيم.
وحاسس إنى عاوز أقولهولك دلوقتي.

بجد!

اسمعي هذه المقطوعة البليغة الرقيقة - التي أحبتها كثيرا
أول ما وجدتھا:

يا بنت يا أمُّ مَرْيَلَةَ كُفْلِي
يا شمس ناشفة بس مَبْلُوءَة
أبوکي راجل يبني ويقوللي
هو انتي هبلَة والا مَقْبُوءَة

تضحك بهيستيريا وكأنها لم تضحك من قبل، فكادت
تفضحه في سائر الحي والوقت مَوَات.

إنت فاهم معنى الي بتقولو ده؟! ههههه

أنا عارف انو كلام حلو أوي طبعاً، وانا حاسس بيه فعلاً،
الي سألتهم قالولي كدا لما رحت المركز الحضاري لثقافات
المتوسط ودورت على نماذج ومخطوطات بتحكي تاريخ تطور
الأدب والفن - خاصة موضوع الغزل - وعلاقتهم كلهم
بحياة الرفاهية وفترات الحروب.

لأ تمام. هههه

ما رأيك لو هاتفتك زوجي ونكون معاً. ثلاثتنا فقط.
وحدنا.

كيف -

معاً.

لم.

ألم أقل إن ما أعانيه لا أنساه ما حييتُ لو أشربُ السُّلْوَان ما
سليتُ ما بي غنى عنه وإن غنيت!!

أحببتك!

خلاص

موافق. قالها ولم يعرف لم وكيف وماذا يفعل. أو ما الذي
يمكنه وما يريد.

طبعاً تنتظرون العبارات الملتهبة والأصوات المتناكحة. لا!!
تخيل بنفسك يا أخي. ساعدني!

المهم. كان تصرفاً شاذاً. لك أن تقول ما تشاء. هذا ما حدث.
الأغرب أن الثلاثة كما كانوا منخرطين فيما يلتحمون، أغرقوا
في العرق، ونوبات متعة مدفوعة، تلتها نوبات بكاء مكتوم.

CUT

الكاميرا في بيت كلارا وزوجها. تدخل إلى غرفة ألبا
صغيرتها. تطمئن عليها وتغطيها جيدا. تقبلها. تخرج بسرعة
مشدودة من البيت دون أن تلتفت إلى جيمس. تدخل السيارة
بعنف. وتغلق الباب والزجاج.

رايحة فين يا حبيبتي

إلى جيمس. قرأت شفاهه من خلف الحاجز. وهو سمعها
بوجهه!

الكاميرا على زوجها والسيارة تتحرك. هو يفكر بذعر. لا
يحاول منعها. الكاميرا على عينيه وهو يبكي. الكاميرا تبعد
رويدا رويدا عن السيارة وعيني كلارا المترغرتين بالدمع
على اتساع مذهل. الكاميرا تبعد تبعد حتى تثبت على صور
متابعة للعب الشمس.

صمت.

الشاشة فارغة بألوان متداخلة..

صوت قطرات ماء متقطعة ورياح شديدة تضرب صحراء
شاسعة يليها أغنية تلعب كاملة:

Nothing Else Matters

Metallica

كان بعدما قَبَّلَهَا ثَانِيَةً وَثَالِثَةً كَثِيرًا غَافِلُهُ سَلامٌ عَجِيبٌ
 آخِرٌ فَأَغْمَضَ عَيْنَيْهِ. بَدَأَ يَتِمَّتَمُ عَنْ عَثُورِهِ أَخِيرًا عَلَى بَدَايَةِ
 وَشَكْلِ النَّصِّ الْمَسْرُوحِيِّ الَّذِي كَانَ يَشْتَغِلُ عَلَيْهِ فِتْرَةٌ طَالَتْ
 بِشِدَّةِ لُظُرُوفٍ وَمَرَضٍ. بِالْفِعْلِ، وَبِدَافِعٍ لَمْ يَتِمَكَّنْ مِنْ تَتَبْعِهِ،
 شَرَعَ وَهُوَ شَبْهُ نَائِمٍ شَبْهَ صَاحٍ يُسْمِعُ كَلَارًا النَّصَّ وَيُمَثِّلُهُ،
 رَغْمَ قَنَاعَتِهِ بِأَنَّهُ يَجِبُ أَنْ يُقْرَأَ مِنْ وَرَقٍ - لَا مِنْ فَمٍ يَضِيعُهُ فِي
 مَتَاهَاتِ الْأَذَانِ وَالنَّسَخِ..

يأتي هكذا ويذهب كذلك

١- رائحة المال

الفصل الأول

المشهد الأول

يصعد إلى ذلك الأنف دون رهبة كافية. يربط فيه الخيط.
يُثَبَّت حلقة محكمة، وينزلق..

مَنْ خَبَأ طاسة الرغبة في كُرّة الثلج؟ ألم يكن هذا الذي -
يعلم ماذا تقول الطبيعة. الباب يدق، وبيت الرب. حان الآن
موعدنا. يدك في يدي بسرعة لِتَرْكَبَ الشمس. لُفِّي ذراعيك
تماماً حول خصري، وحاولي التمسك جيداً - بحقك: في
القفز بالليل، مرتدية حذاء التنس، فحسب، عند النوم - غَيْرُ
مهم حتى الفضول - سوى، لكلينا. أنا وأنت معا في اليوم.
يا لحظه السائل.

يقول واضعاً كوعه على جذع النافذة

ما، سبق

المشهد الثاني

يدخل الملاك ميخائيل، ويخبيء في جيبه إصبع روج

يبدأ الصوت الجديد في التجربة:

(حتى لا أُنْهَمَ بقسوة؛ هاتِ ثديكِ؛ لأقطعهما - بشفرتك.
نزنهما في مقابل ريشة نحلة؛ لنرى. لا، لم أخطيء. هي ريشة
نحلة فعلاً. ألم أقل إن عالمنا ليس بعالمنا، وإن ما يحدث أو
لا يحدث فهو حادثٌ حادثٌ لا حادث. وإن ما نراه غير ما
نسمعه غير ما نعيشه غير ما نشعر به وله. الميزان الحقيقي
في ذلك كله هو: الهواء، الرائحة، الكفة الأخرى، الداخل،
الخارج.. وأخيراً، ربما، يكون هناك - أخيراً - مهما يكن. آه، لا
تنسَي أن تعطي كل واحد اسماً ورقماً، وخارطة. لا شيء نضمنه
الآن - كما تعلمينَ - خاصةً، فيما بعد.

خطوتين إلى الخلف، يصطدم بكرسي البيت، يصرخ من
هول المفاجأة -

بنشوة

يضحك المتفرجون على صرصور تسلل إلى خشبة المسرح
فطفق البطلان يخصفان عليه من ورق المؤلف. الإضاءة تبدأ
في التهافت..

يد صفراء تدلف إلى علبة الربيع، ثم تأخذ المصاييح حمى
بلا إرهاص.

الاضطراب بادٍ على وجوه الخمسة والستين والثلاثمائة
الممثل وجزء واحد من أربعة.

في الكالوس ينتحب المخرج لإمكانية ضياع فرصته
الوحيدة، وتأتي القطعة السمينة فيكتمل كل شيء..

شعور بارتياح غريب يطير فوق، ويُحلق أبعد فأبعد

المشهد الثالث

حرب كونية شاملة: كل البلاد مشتبكة ومضطرة أو دافعة لهياج. جميع المشاركين في طريقهم إلى الإنهاك؛ الدول الغنية: تخشى على كيائها وفي الوقت ذاته على قيمة الإنسان فيها. تستأجر محترفين لخوض المعارك. الرصيد ينفد، تضطر للزج بأبنائها، إلا أنه ليس الجميع أيضاً، فما زال أفراد يُخشى عليهم من لسان الهواء الطائر. رويداً رويداً تتحول المدن إلى عيش خاوية، تهرع السلطات للاستعانة بمخزونهاها الهائلة، إلا أن خشبة المسرح ذات حوائط ثلاث والسقف عالٍ نوعاً ما - مهما كان الأمر فكل شيء له حدود - يفكر المؤلف في نقل المعارك إلى ساحة ثانية وثالثة ورابعة وoooo حتى لو كلفه الأمر وظيفته..

القائد العام يقفز على الحديث القائم فتتكسر ساقه ثم تقع رقبته في يد وزير الخزانة من شدة الخوف، فالظرف لا يحتمل الخطأ، ولا التجريب. ولا غفران بعد.

المشهد الرابع

أصوات بكاء عجوزَيْنِ مُنْزَوَيْنِ في ركن الغرفة. يقولان فعلنا كل شيء معًا؛ سوى أن نصبح بابا وماما. أنجب هو من أخرى وأنا حاولت مع غيره. ظل بيننا الإخلاص والاحترام والوفاء والتكريس والبقاء في السراء والضراء - عناوين ومباديء، ومحاور أساسية وَمِنْصَّات - للتساؤل:

أيها الولد الذي كان حُلْمِي. أيها الصغير تماما لتجديد الذكرى. لا تنس الذي جاء بك. أعطِ كُلَّ ذي حق حقه، واعلم - جيدًا - مَنْ أَنْتَ.

تحتشد الصور في ذهنيهما حول النطفة وأطوارها حتى وصلت إلى مرحلة الاعتماد الكلية، وعاشا على أمل التحقق، والانبساط. تأتي الرياح فتعوي كما لا تشتهي السفن.

كبرنا، ولم يتغير حال الحال. ما الفرق الجوهري الذي ربما قد أحدثته الخلفة؟

نحن معاً، ولسنا معاً، أما عن تبرير اللحظة/ لا ندري

الفصل الثاني

مشهد الختام

(جوقة أخرى تتحب..

تبكينَ

لأنَّ

لا أحدَ

لكِ

ولا

لكِ

أحدٌ

«مثلي»

—

الفصل الثالث

«محاولة دَسَّ مرآة واحدة في يد الوقت»

عُدْ بظهرك خطوةً سريعًا. وأنتَ - على تلك الحال / لا تغمض عينيكَ مهما حصل. عد خطوةً أخرى، واحذر أن تعجبك الحال. توسَّطِ المكانَ بالتقريب؛ لتضع قدميك في الحقيقة - على الأرض. انحرف يسارًا ملليمترًا، ثم قس زاوية التغيير، وظلَّ الآن..

انحرفَ يمينًا قليلًا قليلًا، ثم قس هذا التحرك، واسأل نفسك لمَ لم تتحدد المسافةُ الأخيرةً مثلما تم مع سابقتها. انتظر الإجابة.. خذ نظارتك من فوق الجبل.. جفف ما قد يكون علق بعدساتها من سكونٍ أو سكوتٍ أو كلامٍ.. قس ارتفاع هذا الجبل - قبل وبعد التجربة - صفَّ ذهنك من سَلَّةِ ما كان.. كثَّف تركيزك على صدرِ تحبُّه، و، يجبك. لا تُنعم النظر طويلاً فيما يأتي. كرِّر ما سبق..

هل تذكر ورقة الشجر التي سقطت ونحن نتحدث..
 هي تلك.. هاتها.. كن رقيقاً بجفافها. ضعها بدل النظارة
 فوق الجبل.. مُدَّ ذراعك - جيداً - حتى لا يسرقك الوقت،
 والمسافة، والتشتت. قف، وقل: مَنْ لي ببعضٍ مما أريد.
 أخلص النية - ثم، قم - على استحياء - تفقد آثار الحركة في
 هذا المحيط، ثم انتبه إلى كل فرق. هل تذكر زجاج الحقيقة؟
 ذاك الذي قد استوعبَ قدميك فيه (- على الأرض -) ..
 ألصق وجهك فوق ظهره. اهدأ.. تنفس بعمق. لا،
 تتحرك..

هل تذكر المرأة؟ ال م ر آة، هه. آه

الفصل الرابع

حينما حملوا كفني، وأمالوه قليلاً - إلى الأمام، سقط الهيكل في الحفرة بسرعة جعلتني أشك أني أعرف المكان، وأنني قد أتيت إلى هنا مرة، وأنني سأقي إلى هنا مرات بعد مرات. قفزت جيداً - بلا صوت. ثم تأملتُ قلت « آه » قصيرة جداً لم تُسمع. شعرت بكم حفنة من بودرة بيضاء تُنثر. كما أحسست بالسوء مثلما لم أعهد لها: شبيهة بكل ما ذقتُ من قبل، ولم أذق. كأنها «تي شيرت» لطيفٌ تماماً - جاءني هدية - غير متوقعة - في عيد ميلادي - من أجمل امرأة في كل شيء. في كل زمان/ مكان. وأنا بالطبع - لا علم لي - في - كل شيء. في - كل زمان/ مكان.

الرجل الجالس عن يمين يغير يده، ويبحث في الحقيقة عن قدم المرأة المنفتحة هناك تخبيء ما تريد في صدرها بينما تعدل الأوضاع

تصفيق حار..

قطع مفاجيء على قاعة الضيوف

القلق يساور المهتمين لعدم تمكن البغايا جميعهن من
الحضور؛

لأوامر من الباغين

والمحاكم العليا.

أصوات المارة تبدأ،

الفصل الخامس

يقف الميكرُو؛ ليقول إن التماسك الثقافي، والحماية الاجتماعية، وأشياء أخرى لا أذكرها - هي ما تقوم عليه جمهوريتنا الحرة، وديمقراطيتنا القومية النبيلة؛ لذا؛ لا تصدقوا أبداً أن من يأتي إلينا قاصداً حاجة لا يجدها.. نحن الممتثلون لنفيض على هؤلاء المساكين. واجبنا المقدس / الذي كرستنا له آلهة الضّعاف، وراهبو القادم. لقد فعلنا ما بالوسع حتى ندشن معنى جديداً لموسم الهجرة الذي دائما إلى الشمال، بل مواسم الهجرة. حاول أحد الطيبين - مرةً - تذكيرنا: أن الهجرة إلى الشمال / من الجنوب، فرَدَّ عليه صاحبنا، والشرق، هاه - أم نسيت. أشاح بوجهه، وأشار إلى الراقيدين على أسطح القطارات، و، دمعت عيناه؛ لما جاءه من القبو صوتٌ مَن قِيلَ هِيَ أُمُّهُ - على سبيل المجاز - أو الحقيقة - من يعلم! التي حَشَت أحد جواربها قشاً وقماشاً؛ (حاولت إيصاله إلى درجة تُقارب نوعاً شكّل الثدي، وملمسهُ.. واضعةً إياه في حضن صغارها الذين فاق عددهم تَهْرِي العينين. الأم اتجهت بحملها

نحو العُنُق. ثم انعكست إلى السُّرَّة التي تربط وتفصل أمريكا اللاتين عن بارونات الأنجلو.

[من المؤكد أن هناك ما لآلي في تلك الأرض. قالت، سأكون ممتنةً لانتظاره لي، حتى لو ما تعدى حجمه - «الصراصير الثلاثة.»]

.

.

.

ويصطك باب نورا

—

الفصل السادس

العالم كله، منتظرًا الولادة. هل سيأتي للأمير جورج شقيق كالعادة أم فتاة أنيقة - تغير القانون. هنا هنا في لهفة وفي شاشات التلفزة، والهواتف لا ترتاح.

ياااااا على الدنيا. التي كانت مُدَلَّكَة الفراش أمس، ويخطب ودّها المحتاجون أمس.. ماذا اليوم؟

الهواء مشحون برائحة الظروف. الأنظار مشدوّهة والفؤادات معلقة بحفيدة مرغوبة لـ (ديانا) التي لم تشعر يوما أنه يرغبها (أحد) - ويحبها كما هي تحب؛ لأنها: هي. لقبوها بأميرة الغلبة تَصَوَّر! عذراً، آه ليس كذلك، وإنما أطلقوا عليها (أميرة القلوب).

المهم، والسبب كذلك، أنها لم تصدق فلاشات الكاميرات، وأزيز الباباراتسي، وأغلفة الصن. لم تحبذ عقيدة العرش؛ بل ظلت على إيمانها النحيف.

الإمبراطورية الباردة، تحن. اسم الأميرة الجديدة التي وضعتها دوقة كيمبريدج / زوج الأمير ابن ولي العهد وحفيد الملكة الأم.

ظهيرة السبت ثاني أيام أيار مايو ٢٠١٥

المواطنون الشرفاء والمتحمسون تركوا أشغالهم وتحلقوا حول القصر لرؤية الآتية من بطن (كيت ميدلتون) التي ليست كبطن الإنجليز، لكنها حتمًا تمامًا - بطن بريطانيا العظمى، ووجه الذي لا يعرفون. اسمك يا أميرة، هو ما ينتظره العالم. اسمك / إذا تفضلين

٢- رائحة السُّم

الفصل الأول بعد الوضع

يعود الجماهير للراحة في بيوتهم استعداداً لفصل آخر بعد أسبوع واحد؛ إذ يبدأ الحلفاء احتفالاً بالذكرى السبعين أو الألف لا أذكر لنصرٍ عالمي ضد العالم.

«من اليمين إلى اليسار:

الجيش الأحمر - الأخضر - الأصفر - الأزرق - الأسود -
الأيض - الأفعواني - العماليق - الراجمات والخوازيق

«ويبدو للمراقب أول وهلة أن عدد أفراد الجيش الأبيض بلا حصر، في حين يصطف الجميع على شكل قوس قزح، ويتجهز العناصر لإطلاق ذي دقة متناهية ..

[حمامة، للسلام.. حمامتان، للسلام، للسلام ذاك الحمام،
والسلام على الحمام

[خطوة للوراء.. خطوتان للأمام، فالسلام للأمام، والسلام
على الأنام

* وتواصل الجوقة.. فيما بعد.

كاتيوشا، يا حبيبتى.. بصواريخك الستة عشر، والكيلومترات الخمسة على الأقل، وفيما لا يجاوز أبداً - عشر ثوانٍ، تحييني.. لي خبرةً من التحليق بالطائرات الخشبية - لساعات قد تتجاوز الأربعمئة..

كاتيوشا، يا جمجمتي.. ما الفرق بين موسكو ولندن وواشنطن.. هل تعرفين؟

تأملي طريق برلين. هل تتحدثين الآن الفرنسية في روما أو أوشفيتز؟

ألم أقل إن العولة كانت معي فوق المقعد..

الآن أذكر أنني كنت أحمل سطلاً من المياه أصبه فوق الحفرة، فأصطاد ثلاثاً أو أربعاً من قوارض.. كبداً للحم العزيز. أما في أيام الحرب؛ كنا نغني ليالي الصيف ونحن نمضغ الشوكولا، ونضع الملح في شايِنَا. ولم نفكر إلا فيمن سيأخذ القطع المعدنية التي سوف نبقي عليها.. إذا بقيت..

الفصل الثاني بعد قليل

آفاز /

AVAAZ-

التي تبث دائما على الإيميل رسائل في منتهى الغرابة.

يا أخي.. العالم لنا. عام ٢٠١٤ وبعده تاليا كان مهماً
بامتياز. نعم. خرج فيه حوالي سبعمئة ألف للتظاهر. أكبر
تجمع من أجل التغير المناخي طوال التاريخ..

أربعة آلاف قدموا طلبات للتطوع ذهاباً إلى أفريقيا
والمساعدة في وقف انتشار فيروس إيبولا.

حققنا نجاحات ضخمة في سبيل حماية المحيطات والفيلة،
وإيقاف شركة مونسانتو المبيدة للزراعات والمحكرة لألم الغذاء.

يمكننا إحداث الفارق بين الراهن والمرهون. نحن المؤمنون
بنا..

نحن يقال أبناء جورج سوروس الذي لون الثورات،
وجعل الناس يرون النجوم في عز الظهر. نحن لا نهتم كثيرا
للحصول على بطن مسطح أو مؤخرة طازجة. ربما قد نوجه
عرائضنا الجديدة لمثل هذا في وقت لاحق،، أما الآن فعلينا أن
نثبت مصداقيتنا، فعاليتنا، الخطر الذي يدفعنا للشك في نية
الإنسان أن يكون حقيقةً إنساناً، ويستمر؛ لا تَحْتَ الحاجة، أنْ
حسبَ الرغبة، وإبرة القرص النجمي..

من الحارات والشقوق يندلق المنقوصون، الشحاذون،
القصيريون، ذوات الشعر المتطاوّل، الهيبون، الأطفال على
درقة سلحفاة، الضعيفون بلا معنى..

نسعى لأن ينام الناس جوار البحر، ويستلقون بلا ملابس.
أن يناموا جوار بعضهم، ويلعبوا دون أي تحفظ، بلا قواعد.
كل رجل في كل امرأة.

يد كل منهم قاريء نهمٌ وحكيم لجسد الآخر، ومنشفة
لحزنه، وريشة نعام لروحه، وشريط طبي لجرحه. جميعهم في
حضن النسيم. جميعهم حضن جميعهم. لا ينظرون إلى البط
الطالع من المياه لينفض عنه انكماش الريش ولسعة الاتساع
بلا عيون وانهمار النهار، الملح القديم وبقع الشمس وآثار
قبلات السّمك. لا أحد يتحدث. لا يشيل أحدهم عينيه
من على صدر حبيبته أو وجهه بين ثدييها أو ينزع رأسه من

فخذها أو قلبه الذي يزرع الورد ويحرسه فوق ظهرها..

والسماء تغني. والرمل يرقص. وأنا وأنت.

أنا وأنت أنا وأنت أنا وأنت أنا وأنت، لا تشعر بالملل
أرجوك، أنا وأنت أنا وأنت أنا وأنت

أنا وأنت أنا وأنت أنا وأنت أنا وأنت أنا وأنت
أنا وأنت أنا الذي أنت هو أنا أنت

رائحة الحب تعبىء الأغطية بقمح يكفي صحن العالم؛
ينبت فيه العيش بلطف دون الحاجة إلى قطن مبلول أو
مساحيق.

أعطني فمك الجميل هذا. فلندع سكين الحاجة في المطبخ،
والشوكة، والملعقة/

لنجرّب أن نأكل، بأيدينا، لا بأقدام الضفادع..

الفصل الثالث العجيب

معطف الريح الذي يرتدي الضجر، ويقف على أول
الشارع يشير إلى الحمار.

لم ليس عندك سيارة. ناقص أن تقول كذلك ليست لديك
وحدة سكنية في الكومباوند. أنت خارج كل السياق، وداخل
في غيبوبة/ هذا لو وجدت مكاناً لك وحدك.

ماذا ستفعل في قرسة البرد. بق الحر. مصاريف الحشرات
الأخرى.

ألم تكن تعلم؟ جئت تهز ذيلك فحسب، ولم تُعَقَّب. مُدَّ
يدك إلى حلقك؛ لعل كل الكلام انحسر. ألم تعلم بأن المال
يرى. لئن لم تنتهِ لَتَرَمِينَك بالناصية كأولاد الشوارع.. تحت
الجسور. تُقَلِّب عيشك بعلب المناديل. تنقر على الزجاج.
وتنقر. لا ترد عليك العيون ولا الأيدي. فقط لسانٌ خرج
لتوه من مرحاض. المرحاض الذي نذهب إليه جميعاً مرغمين.

لكن بالطبع هناك مرحاض أكثر مرحاضيةً من غيره. كما أن المرغمين أولئك ليسوا كذلك مرغمين كما ينبغي. وكما يجب. نصيحة:

لا تصعد الآن إلى السطح. سلاح الطيران يقوم بتدريبات شاقة. إنها عاصفة الحزم.

نعم، العمليات العسكرية ببلاد الغضب التي تقودها المؤسسة وشركاؤها. لا تجعل الغم الشخصي يبعدك عن الهم العام. أنت شخصية عامة. أنت رجل عام. هاه. لا تنس ذلك مهما حصل. لا أقول لك، أو أوجهك لعدم الحديث عن المرحاض أو غيره. لكن الأمر يختلف. صح. وأنت تعلم يا أخي. ارفع رأسك لقد مضى وعد الثورات.

ارفع رأسك، يا، أخي؛ فنحن في عصر الكوندوم.

يجب حفظ صندوق حوار صغير فوق شاشة الكمبيوتر، كتب عليه كلاب السكك - انقر داخل الدائرة:

«أنا لست روبوت بهرامج». خشيت أن يزداد ثقب الأوزون على يدي، فهربت.

أرجو ألا تعود تولول: لا يمكنني الكتابة. لا أفهم شيئاً مما أقرأ. أصلاً لا يمكنني القراءة. دعك من هذا. ارفع رأسك

فصل السؤال

ماذا لو كان البيت أي شجرة أو قطة؟ كان الواحد حينها سيشعر بالأشياء مختلفة. الشجرة غير البيت بالقطع، كما أن القطة هي الأخرى لا تمت إليهما بصلة. لكن السؤال: لمّ بالتحديد تم ذكر الشجرة أو القطة؛ ليكونا عوضاً عن البيت، أو مرحلة تالية أو مستوى آخر للتحويل، أو قُلْ تظهرًا متجليًا للتمثُّل المتخايل.

نعم، أظن هكذا اتضحت الصورة - خاصة بعدما أوضحت المصطلحات مباشرة ومكثفة.

ينقص الآن قضية المثلث:

البيت / الشجرة / القطة.

وبإنعام النظر في الأطراف كافة - تبدأ المسألة في الحل:

هناك طرف حاضر غائب يشعر بالملل سريعاً. أنت.

إذن. المعادلة بها خلل ما ربما ينجبر إذا تحول المثلث إلى مربع، وبحسابات أوسع ينبغي إضافة مَنْ معك، وأعتقد أيضاً إلخ.

وبالتالي: البيت/ الشجرة/ القطة/ أنت/ من معك/ إلخ

-

طبعاً أنا لا أشك في ذكاء السيد القاريء، أو بديهة السيدة القارئة -

!

!

لم يكن داع اضطراري لتفنيط الأوراق؛ حتى أتوصل في النهاية إلى تجميع كلمة:

«مُسَدَّس»

.

المشهد الآخر

حين يبيض الإنسان / لا يطير، ولا يصير طعمه أحلى،
ولا يكون قابلاً لألوان شم النسيم. وبالطبع لا يقدم أغراضاً
متعددة للاستعمال، والسؤال: لماذا؟

حين يبيض الإنسان، لا يطير، ولا يصير طعمه أحلى، ولا
يكون قابلاً لألوان شم النسيم. وبالطبع لا يقدم أغراضاً
متعددة للاستعمال.

الجوقة:

الأشياء المتكررة، تؤدي إلى، كثير من الـ، أشياء الـ، متكررة

يا إنسان، يا إنسان، لماذا لا تجيب الآن

الأصوات المتكررة، تؤدي.. (مزيد من الأصوات)

المشهد الآخر الثاني

منظر مماثل

ماذا يعني الشفاء الداخلي؟ أن أقطع علاقتي بالشمس؛
لألقي بصنارتي في صدر القمر - منتظرًا حليب هناك.

*

أنام بين فخذَي نجمةٍ. أقبّل النقطة بين عينيها، ولا أتحرك
إلا بعد حشو جيوبي
بالسديم.

*

أدعك صدرها؛ لأوقظ ما بالداخل وقت الشروق، ويبدو
أن ستفوتنا الحصاة الأولى.

لن أوقف الطَّرْق بل سأضع الجرس مكان رأسي.

*

مستلقياً على ظهري. رافعاً قدمي اليمنى. ساندًا جنب
السءاء - كالعصا.

*

تجلسُ بجواري. أمد يديَّ لأسحبها، والخجلُ في عيني:
يهدأ، ينفجر.

*

الجوقة:

كيف الشفاء من التعلل بالهوى
راحت تُدللُّ أنها لا ترغبه
قال الذي في عينه قطر النوى
هي مشربة. هي مشربة. هي التَّطْيُبُ من الخواء وما حوى

منظر مماثل آخر

//////////

الراوي:

✱

كانت تقتل بهما العالم بلا هوادة. تسحق أعين الرجال
وتحرق دم النساء، وترتجي كل الصغيرات نعمةً قريبةً من
صدرها.

أما وإن الأرض الهنيئة قد زُلزلت، وانتشر الجرافيتي -
شَرَعَتْ ترسم دائرتين: بمركزين، وقُطرين.. لكنهما، -
حتى الآن - مازالتا على:
خطٍّ واحدٍ تهتزان - باستقرار..

✱

الجوقة: ويا لها من فكرةٍ تدور في كل رأسٍ بلا جدوى

فصل الحاجات

المشهد الأول

عقابٌ شهير/ لمجرمٍ مغمور.. يزأر كالحمار، ويركبه
العصفور - في باديء النهار:-

- تفاصيل أخرى لا تهم كالاسم والشكل والحالة
الاجتماعية ومستوى التعليم والأظافر المُقْلَمَة ومقاس الحذاء
وألوان الملابس الداخلية وعدد الغرائز التي مازالت حية
وعدة النجارة وهاتف النجدة وبتاع العيش، وجامع القمامة
ليوم لا ريب فيه ولا مجال لأحد أن يقول لأحدٍ أيها ألا تعرف
من أكون أنا من أكون يا ابن الـ

- لا حظتَ حيلتي!؟

- استمر، فأنا للحق أرى فيك مستقبلاً لا يقل بأي حال
عن البط الذي يعوم في طشت الغسيل

الراوي:

غَيَّبَ الموت بالأمس رجلا من أزهى الرجال، من أبهى الرجال، من أقهى الرجال. ونحن في مؤسستنا العريقة ننعى للشعب الكريم هذا المخلص المغدور، طالبين لمن يعلمه تعويضاَ محترماً، ولمن يفهمه مكافأة مجزية، ولا أراكم الله بيت جاركم من طاقة الجدار المجاور له .

يستأنف:

أَتَرَكُ غطاءَ القلم راكباً على ذيله يلكره من الخلف لِيُمَدَّ سِنُهُ إلى أي حق.

أَتَرَكُ عَيْنِي تحت السماء تعبت بها تقول لَوْنُكَ مازال كالأزرق، وحدقتك مثل حدقتي اثنتان فحسبُ، وإن بدتا أكثر أو أكثر. أنا في انتظار ثمارٍ ستسقط من يد الإله الذي لتوه صار ناضجاً. ينادي يا أحمدُ هل لي بإناءٍ من ماء. الجو حارٌّ جداً والناس كالشمع. والضوء كأنه نارٌ ترتدي خُفِّي حنينٍ وقفازَ الساحر المليء بحمامٍ طائر.

أَتَرَكُ هذا كله، ثم أترك كل هذا فحسبُ.

سيأتي الرجل ذو العين الوحيدة في رأسه ليسأل عن شيء محدد.

سيأتي التنين الذي بذر أسنانه فأخرج الإسبرطين ليسأل
عن شيء محدد.

وأنا أعرف أن سيأتي عليّ زمانٌ يكون الواقف فيه كالقاعد
والجالس كالقائم والمضطجع كالنائم والسابح كالغارق،
والثامن كالسابع والأبيض كالأسود والمجنون كالمجنون،
والشجرة: يعني تمامًا - «كالشجرة».

هذا ضميرك فافعل به ما شئت وامض..

قال الحصان لسرجه وعدًا بعزم ما فيه حتى آخر الحلبة
الرمادية. ملأ الأرض بحبات الفول وقطع السكر وأخذ
يصهل.. قائمته الأماميتان: على صدر الهواء.

- صوت أحدهم يسعل - والجمهور الواقف كلٌّ على
حدوته يندهل، و يصفق.

✱

تدخل الجوقة بحماس شجيّ:

بوشكين

الكساندر

يا قلبي الذي في موسكو

لا تبارز هذا الوجع

دعه ينمو على الأيام.

منفالك هنا:

دافئ

وهناك ليلى - أعرف - معك.

أرجو ألا تقول غداً -

في فيلمكم

.

«تركتني ليلى مساء أمس دون اكتراث،

قلتُ توقفي، إلى أين؟ فعارَضْتَنِي: (لقد شاب شعر رأسك)

قلتُ للمتهكمة المتعالية (لكلٍ أو أنه!)

فالذي كان مسكاً حالكاً؛ صار الآن كافوراً»

.

لا تدع ليلى تُجَرِّكَ لِلْحَجَرِ

اسحب هذا الجبل بيدك إلى ما تشاء، واصنع تماثلك

الكريم على عين الله الجميل، وُضِعَ قُبعتك ثم عصاك. ولا

تضع قلمك إلا في الوقت الذي لا هوَ نهارٌ لا هوَ ليلٌ لا هوَ
إلا لك وحدك.

هذا بكاؤك في فم المجرة. هذا يومك في الكاميرا. وهذا
سيناريو القمر - حين يُخَيِّرُهُ الهوى - أين.. يُقيم.

*

تذهب الستارة إلى مسرح آخر. الإضاءة تخفت شيئاً فشيئاً.
الصوت يبدأ في العذوبة التي بلا أي منتهى. الكراسي انتقلت
إلى حديقة لا نظير لها. ينابيع المياه تتهدى حول الجالسين.
قطع ناعمة من البللور تتساقط من فوق الشجر..

إلى عرش الليل - تحجُّ بعينين كالمسك والعسل.

تصطاد النوم بجفניה وترفع بشعرها سقف الحلم، وتنادي:
يا من في البعيد/ اقترِب. أنا هي.. نعم هي.. تذكُرني بالطبع،
هاه كنا معاً (بالأمس).. نداعب الريح.. ونعبئ النهار بين
أيدينا جسراً إلى يومٍ جميل. هل يأتي؟

أنا الـ «هي». أَسْمَع. لا تعتمد على غنائي كثيراً؛ فأنا
متعبةٌ جداً.. والآن. ماذا.. سأغني. ليس لديّ سوى الغناء أو
البكاء.. ماذا. لم لا تفتح فمك الطيب وعينيك الرائقتين.

هل تذكر عينيَّ اللتين قلتَ إنهما/ كالمسك والعسل؛ لا، لا شيء مثلهما. أنا أنت. أنا فقط.

الجوقة ترجع الصدى

الوقت أملسُ تمامًا وقطيفة وردية كبشرة الهالة. المكان كله مُعَبَّقٌ برائحتها

كلما ذُكرت صار اللون كما ينبغي والطَّعم كما قال الله

يا من أَحَبَّ فقد أرهقتك الليالي الطوال، تبحث عن عين النهار متى تسكن

دليلك ما يدفعك إليها يا صاحبي، لا تعباً بما قد وقع وما ليس بعد ولا تحزن

الضفدع الصغير قافراً من معاء الغدير

النقيق يتحول إلى سيمفونية البطولة/

وبيتهوفن يضغط بكفيه على أذنيه؛

بعدما فتح فاه لابتلع النوتة الأخيرة

وحدي. أعبيء الهواء الحار في سحابة بعيدة. الصيف ذكي تماماً. الشتاء معدل ذكائه لا يزيد على جورج دبليو بوش. من زجاج الشقة الحمقاء تعرفني المدينة. لا ضوء، ليس هنا.

شريحة نور إذن ربما يكون هناك. لا صوت، قد يكون يحاول القراءة في صمت نبيل. ضجة، آه، ربما تكون أشياءه تشعر بالوحشة؛ فاتفق أن تلاقت الرغبات، وبدأ جيداً ذلك العد العكسي للانفجار..

نم يا حبيبي، فالذي يأتي صاحٍ، والذي يمضي يقطُ، والتأمل سَكِينُكَ.

نم لَتَعْرِفَ أن الوحدة لها الكثير من الفوائد/ التي لن تعرف أبداً بعضها وأنت -

وحدك

صات الله بنميم لم يفهمه الذين يعملون والذين لا يعملون. نظر الجمع إلى بيت الكلام ولم يجدوا رَبَّتَهُ. شاء القدر أن يتعلم الوافد درس الماضي ليسير عليه جيداً ولئلا يشعر بالغربة؛ إذا وجد الظلام حقيقياً وليس - كما كان يعتقد - في الليل فقط. رأيت النار التي أشعلت. تلك النار التي سرقت. ماذا ستفعل الآن يا حبيبي - بالرماد - وقد احترقت.

أدخل يدك في جيب الكفن، وخذ المفتاح المزخرف ثم اضرب أكباد الإبل.

هذه قيامتك، وهذا يومك، فافعل ما شئت بأعيننا (كما نشاء) ..

تبدأ الجنازة في التحرك، والنائحات يتأهبن لتحليل لقمة العيش. في مكان ما يتجهز القاضي لحمل مطرقة، والحاجب يدرب حنجرته. الادعاء قادم على دراجته الهوائية مشمرا سرواله عن إحدى الساقين.. ولا همس في القاعة..

(لا يعجبك بَلَطُ الْبَحْر)

مشهد التحولات

كنتُ في دنيا بعيدة نباتًا حيًّا ناميًّا في مكاني ضاربا جذري في العمق. أفعل كما تقول المعاجم، وأشاهد مباريات الكرة. زحزح شاشة التليفزيون الهواء، فلم أعد قادرا على متابعة اللعب. ساعتها. ساعتها فقط، طلبت من الفلاح أن يثبت فصاحتَه، ويقلب الأرض. طلبتُ من طيور الحقل أن تُعدِّل أسراب الإشارات من أجلي. من الماء أن يجري حولي/ بحيث تكون صفحته واضحة أمامي كبديل مؤقت.

كما طلبت من إخوتي الدعاء.

الجو كان ملائما لما سيحدث بشكل ما توقعته قط. الظرف كله تناسب مع معدلات الإنجاز. فانتظرتُ.. وتهيأتُ.

هل تذكر أنني قلتُ إنني كنتُ في الدنيا البعيدة:

نباتًا في مكاني. أفعلُ كما تقول المعاجم.

يخرج الكلام من اليسار
يقف الممثلون عن الأداء المتصنع
من آخر الصالة يجري المخرج بلهات بيغاء، وفي يده
أسطوانة
الأنظار تتحول من العين إلى الأذن هُفَّةً
والترقب يجعل الجميع فمًا واحدًا كبيرًا
كبوابة المطهر
يتراجع الهواء خطوتين، فيتسع الصدر بحق للعاطفة:
ربما يقتلك الملل، أو الشغف، بقدر ما قد يقتلك الموت أو
الموت
الجوقة: العلاج في المحبة، والآلام المنتهى

المشهد الذي لم يره أحد

أنا - ك جيمس - أُحِبُّ برامز. أنا أُحِبُّك يا يوهانيس. سيمفونيته الأولى التي يقولون عنها شيئٌ متناقضٌ: هيَ عاشرُ بيتهوفن، وهيَ: لا شيء تقريبًا. أُستَمِعُ إلى الحركة الرابعة في وَجَلٍ بريء. جسدي ينتفض جيدًا كمحترف. قلقي يعود إلى مكانه المعتاد في جسدي كله. روحي لا أعرف ما هي ثم أين تكون. وعلبة السجائر تنتظر النقصان التالي. وزجاجة الفودكا كذلك..

أنا أُحِبُّ برامز، هكذا قلتُ وأنا أُحِبُّ أن أكتب؛ لا لشيء إلا لأنني لا أجد الراحة فيما أفعل، ولا أفعل. أردت الكتابة عن الكتابة أو في الكتابة. لم تكتمل الإرادة بعد. كيف تكون في ليلة يتم فيها القمر، وترجع الشمس إلى الفايكينج بمغرفة فيها عيناوي وعقلي. تنتهي الأولى لتبدأ الثانية كاستئناف طبيعي للضجر. ويحاول البحث عن افتتاحية تليق بتشوشي.

ها هي، الله. تا، تيرارا، تيرارارا رارارارا رارا...

أشعر بك وأنت تحاول إبعاد كلارا عن باب غرفتك. هل كنت مدركا أنها زوجة معلمك المخلصة وأنت تراها تُمرّض روبرت شومان المسكين وتقول له يا زوجي العزيز تماسك - ستعيش حتى تكمل المؤلفات كلها. وستعيش وأنت تراني أعزف هذيانك المكسور. هي موسيقى متعبة، ويقول البعض إنها عجيبةٌ وجنونٌ مُهلوس؛ لكنني أراها أنت، وأنا، وتلميذك المخلص النجيب، وعادة الدنيا بامتياز.

تعلم وأنت تحب معلمك، وزوجته، وتخلصان رغماً عنكما للمريض..

المرض نقى، إلهٌ قصير، مكعب سُكَّر في قلب المحيط الهاديء. فردة حذاء في أعالي المحيط القطبي الشمالي. زجاجة مياه معدنية محكمة الغلق في جوف القطبي الجنوبي. والمرض، يا حبيبي روبرت: أن تشعر به حقاً، وتتألم في صمتٍ - وحدك. أما أنت، فأنا معك. وأنت أعرفُ لستَ معي. ولستَ معك. هل يستمر شروذك، جائز. لكن لا تخش الوجع.

كلارا حبيبتك ويوهانيس؛ يُضَحِّيَانِ من أجلك، ويُقَسِّمَانِ على الطهارة -

ما دام هذا البيانو - يبيكي، وما دامت يداي عليه - تُرَبَّتَانُ.
أنا: برامز، وروبرت شومان، وكلا را، والعقل الذي ذاهبٌ
إلى عقله بموسيقا.

أنا بلا عقلٍ جميل، إذا كان فعلاً مِنْ عقلٍ، وَمِنْ جميلٍ،
وَمِنْ/
أنا

لذا، أَحِب الوقت الأبيض؛ سوى أن بيتي لا يمشي إلا
بالليل، ويسعل.

الجوقة: أَذْرِك الباقي وَعَجِّل بالذي يجعلك أنتَ،
هذه الأشياءُ بحرَ شَطْطُ الأشياءِ

يعود صوت الحكيم، فتنتبه القصائد

قصعة الشاعر القصير - لا تبني سوى الأقرام. يعمل ما
يمليه المقاول دون اللجوء إلى جدلية العمارة الجميلة والوظيفة
النفعية.

هو كصاعد إلى السطح قبل أن يرمي الأساس. وحتى قبل
أن يتمم التراخيص، أكْمَل البناء. خير وبركة. انهار. البلد فيها
قانون، وفئران.

شاعرنا يترك الدنيا من أجل كيس كلام. ينسى نفسه عند الحلاق فيجد شعره كله في حجره ولا يندهش. يشرب الجعة فلا يكون قادرا على تحمل سقف التوقعات؛ لأنه ببساطة لا يملك ثمن الشراب والطعام وحقيبة النوم - منذ أن سرقه صاحب الشقة - ليلة غد.

كأعمى، لا يستطيع النوم قبل أن يطفئ الأنوار. كيانيست - يرى حبيبته تحاول إبهاره بعزفها - يضع يديه على يديها فوق لوحة المفاتيح؛ لتكون حرارة النغمة أشد، وليبهرها نفسيهما بكونهما فقط معًا، وفوق أي موسيقا..

يقول اذهبي. أريد أن أجلس وحدي بدون لحم. أرغب في تجربة الحلم بلا شهوة. أحتاج فقط أن تتعدي عن كل شيء؛ حتى أرى وجهك - صافيًا - إذا بكيت.

يقول تعالي. هذا الألم اختبارنا. هذا الألم اختبارنا. لماذا أعلّقُ ثدييك هنا في رقبتني - كلما ينكسر إله؟ لماذا برأيك أنتظر انبساط الغريزة فوق الجسد؟ لماذا أعددت أبواب الجحيم الآن؟ أنا ماضٍ في طريق الشمس ولست أبالي.

أنا أريدك أكثر من قتل الضرورة، ولا أريد أن أعرف حتى لماذا.

أحبك أيضًا

لأنني

أحبك

أحب الزمان الذي تمشين عليه بقلبٍ مسيح. أحب الوجود الذي تخلقه شفتاك.

أحب عينيك أكثر من الحياة الجميلة، وأكبر من الموت الرحيم. مساء الخير يا حبيتي. صباح الخير. هل تحبينني الآن أكثر؟ أحبك قبل الذي في هناك. أحبك منذ انفجار الحاجة، وإلى أن تنتهي الحاجة، وبعدها، وهكذا..

يصحو، فزَعًا، ولا يجدها بجواره

ممددًا أمام كعب البندقية. داخل أحد أدراج ثلاجة الموتى. بلا لون أو كلام. لا أحد معي، لا أشعر حتى بالموت. فقط رقم واحد يقول: هنا كان منذُ.

لكن، ما سبب ذكر البندقية؟ الحقيقة، لا أعرف. شاهدتهم مرة يُكسَّرُون بعقبها النوافذ، فأعجبتهن وسيلة التحطيم المبتدعة. البندقية، وسواها، ليست تقتل بالرصاص فحسب. استعملات شتى وفوائد جمّة - ينقص أن يصفها الطبيب،

ويوصي بها الغني، ويورثها صاحب الصولجان، ويعلقها
الجوعى فوق أكتافهم - بَدَلْ خُبْر!

أما عن الجثة ذاتها - يا صديقي / فَقَدْ تُحَدِّثُ؛ ولا حرج.

قُل: لي مَنْ - أَنْتَ / أَقِلْ لَكَ يَعْنِي.. مَنْ أَنْتَ

منظر خديج

خاطٍ بثاقلٍ عَبْرَ نَفَقٍ. يذرف من الدمع ما يفيض على
الضَّرْع. وبكفيه يخبيء وجهه المكدود، ملتفتاً إلى ما حَوْلَ، ويمجترُ.

إلى هؤلاء الذين يَحْلُمُونَ بالتاريخ: لا تناموا؛ فالطريق
أَمْسَتْ خطرة أكثر، وباب الحَمَام لا يكاد يُغَلِّقُ حتى يُفْتَحَ من
جديد.

تسمعون الآن صوت الصنبور، وهو يُنْقِطُ. قنينة الصابون
السائل مازال فيها، والسخان: يَعْمَلُ جيداً جُهدَه بطاقته. أما
الحوض: فجافٌ، تماماً، جداً.

أيها الحالمون اصعدوا - إلى رأسكم: قدمٌ على قدمٍ، وأخرى
فوق يدٍ.

بالحجارة جَرَّبُوا قَذْفَ السَّيَرِ، وقفازكم لا تخلعوهُ أمامَ
غريب.

الكلمات المتقاطعة: لتجعلوها لكم سلوى. منفضة
السجائر، أفرغوها.

طائر اليقظة عَوْدُوهُ على أطلس جيوبكم، وبعد ذلك لا
تَنَسُوا أن تضعوا - في جانبِ القلبِ أحذيتكم، وساعاتكم؛
فإنه، ربما، مهما كان البيت كبيراً، ثَمَّةَ أي طريقٍ آخرٍ يؤدي
- إلى المطبخ.

ولمَّا جَنَّ الليلُ طَالَ النفقُ، ولم يكن يُعْرَفُ مِنْ قَبْلُ نهار.
هل بعد؟

غناء منتحب، بدون مصاحبة الآلات:

كبيرة/

مرايا الهواء،

وصغيرةٌ هي الأشياء.

ما يحدث تقريباً أن تتكرر كل الصور أو بعضُها، أو لا صور؛
فيتتج بالتالي شيءٌ، أو شيءٌ آخرُ، يُتَمَّمُ - معنًى جديداً / قديماً/
وسيطاً، أو يخلقه:

شبحُ جبل، طيفُ رجل. هيئةٌ حدّأة وامرأة أو الطيور
المشهورة: كالقاقم، والعقّاق!

مليءٌ هذا الجوُّ بِكُمْ يا أبناء السحاب البعيد. جنديٌّ: يصير جيشًا، فردٌ يتحول شعبًا، كتابٌ يبقى مكتبةً. دمعةٌ: تظل حزنًا، وخزةٌ: تدوم ألمًا، وابتسامةٌ قد تراها أو لا تراها حسب الظرف. قطعٌ من الجمال يدخل السجائر في بار الروح، والمتشرد العجوز في البرقالة الآلية يقول لآليكس:

ماذا دهاه ستانلي كوبريك؟ يجعل العصابة تضربني قليلًا جدًا في أول الفيلم، وأنا أكرّر أن العالم أقدر منّي، ومتسخ، نتن الرائحة، وكرهه!

ألا ينظر، في أي مكان، في المرأة، في أي وقت؟

هل يذكر تلك العيون المغلقة على اتساعها لما قالت الزوجة:

متأكدةٌ كما أنا ماثلةٌ أمامك الآن يا زوجي أن حقيقة ليلة واحدة فحسب، - ناهيك عن الحقائق التي يصطخب بها العمرُ بأكمله، ويصطك - لا يمكن أن تكون أبدًا، كُلَّ الحقيقة. هل كنا نحلم؟ لا ضير. هل كنا نخدع أنفسنا، بعضنا - كما الآخرون.

لا شيءٌ جوهريٌّ يُجْتَم أن نمسك بذيل الفضول. أن نلحق أصابعنا قبل وضع الطعام على مائدة الطعام. أن نركب حصانًا مسروقًا نوّدي به أعمال الخير، ولا نعود. أن نقول غير ما نفعل أو نشعر أو ما نفهم.

لا شيء حقيقيّ جدًّا. لا شيء تمامًا زائفٌ. لا شيء يا حبيبي /
تمهّل. لا شيء. لا شيء بعد.

يفتح النافذة -

مخاطبًا الشارع؛

أدخل إلى الطبيعة بلا نقود، (وسواها). أخرج منها عاريًا.
أنا الذي دخلتُ فخرجتُ. أتعجبُ من ذوي العقول الناشفة؛
لم لم يغسلوا شعورهم في نهر الحب، نهر الخوف حتى نهر
البصيرة؟ لم لم يستغلوا الوقت في شيء رقيق كالشعر، كالبكاء.
كالتفكير في وضع أيديهم في جيوبهم بلا تفكير؛ ليضعوا في يد
عامل النظافة ورقة مالية جميلة بلا مناسبة فعلية - من دون
أن يروا ما فعلوا إحسانًا يستحق الثناء. أن يجيبوا الطفلة بائعة
المناديل بابتسامة بطعم القبلية. أن يقولوا لمن ينوي أن يهويَ
من أعلى البرج:

انظر تحتك، كم تبدو النجوم على الأرض حلوة كالندى!
كالسحابة المنقطعة بالشفاه القانية. كالهواء المعبأ برائحة حبيبتك.
أن يكذبوا على الأسماك، ويؤكدوا أن بعد البحر شيئًا آخر.
أن يجلسوا أمام القس ولا يعترفوا على الألعاب الساذجة كم
كانت أصغر من كيس الحاجات.

أن يتركوا مقاعدهم في الحافلة للكبار والعجزة، بلا كلمة. بل، يصومون عن الغضب، عن النوم. يسلمون للطبيعة مفتاح غرفتهم ورقم الهاتف، والسُّعَار. ويُسبِّكون قلوبهم كالعناقيد. ويستوحون من الأشياء طبيعتها الحقيقية، ومن الصغار ملاحظهم الواضحة.

أنا ..

طبيعيُّ جداً: في الطبيعة. أنا: طبيعيُّ تماماً أبدو - على الطبيعة أني غيرُ طبيعيِّ حقاً (نوعاً ما..)

-

أنتهت المسرحية؟! لا أدري. بل مَنْ عساه؟! إذن، ماذا أنتظر.

قلت آخذ دُش - عادي يعني. استقبلني الحوض بدعوة كريمة للقيء. تقيأت جيداً وصرخت قليلاً من الألم، فكثيراً.. ملمت الحاجات ثم بدأت الدفن في الماء عَلَّني أنتعش. أنهيت المهمة وخرجت. ضحك الجميع بهستيرياً لم أعهد لها، ونظروا إلى بعضهم ثم إليّ:

أقلقتنا عليك أولاً، ثم قررنا الدخول إليك وقطعنا الرأي. بعد ذلك مباشرة بدأنا الدهشة وحماس الضحك - عندما سمعنا موسيقى ورأينا المادة المعتمة، وحين بدأت أنت في الغناء بصوت عجيب، وخلطة أغنيات أعجب.. هههه

رد جيمس: أنا أمرض أيضا. طبعي. وبالمناسبة، قتلي يجب أن يقتلكم جميعا يا ملاعين!! نعم. أحب البعض، وبعض الشيء!!

لكن؛ كلما عرفتُ عَبَرْتُ وَتَعَثَّرْتُ، عَثَرْتُ وَتَجَاوَزْتُ. كُلُّ هذا وأنا عالقٌ هنا وهناك، في كل آن!

ليت هذا كان آخر غربة واغتراب وغرابة في حياتي الماخور الماخرة - الصالحة للاستعمال - إذ إنني ساعات أحن إلى عبادة الماعز؛ لكثرة حسناتها في الصدر، ولرقتها، ولشعرها الفاحم الناعم؛ لكنني لا أنشغل أبدا عن طبقات المعرفة وتراكيب الوعي التي تؤرقني دوماً بنقد الحاجات؛ ومنها مثلاً بقية الأشياء الأخرى التي سأذكرها تباعاً بعد القضاء على أرض الياب. قلت حاجات كثيرة. نعم. صدقني.

خذ مثلاً مسألة العائلة التي هي إيهام بكثير ليس أوله ولا آخره إغراء شوكة الانشغال بالاشتغال، ههههه. في عين الوقت وقلب ذاته: يُكَالُ مدحٌ وقدحٌ للفردية والواحدية والانعزالية والإطلاقية والاستقلالية والحرية والإبداع المتعدد الذيول؛ مع ذلك - لا شيء يحدث بضمير.

عندك حق؛ لكنه غير واضح، أو على الأقل غير قادر، ههههه

طيب، ماذا لو استشهدت برأي كلارا؟!

آها، ساعتها ربما أفكر أفضل.

بالمناسبة أيضا، هل ذكرت لك أنني مدمن فانتاسي؛ رغم أنني أقصرُ مني بمراحل؟!!!

لكن لمزيد من الإيضاح - هذا ليس رأي كلارا. هي تحبني كما أنا: أي بكتلتي الكثيفة غير المستقرة أبدا، هههههه.. نعم نعم، مفهوم. ءءء ليتنا نختصر قليلا في الحاجات..

هاه. ليس ذنبي إنما هي التي تتوالد تلقائيا وتتكاثر ذاتيا حتى لو جامعها عاملٌ طارئ!!

طيب، أرجوك المهم الاختصار. اتفقنا.

صعبٌ أن أضطرَّ دائما للاختيار بين كوني مُهرِّجًا أو لعبة!! صح. معك. (يحاول في وجه الاختيار وأمام المتاح من العالم).. مهرج أم لعبة مهرج أو لعبة، مهرج/ لعبة.. أو وففففف..

المهم، هل ذكرت لك بقية الحاجات. خذ مثلا التعليم الذي يغذي الفروق لا يزيلها. طيب - هل لو أزالها سيصير العالم أفضل. من يدري؟! أرجوك، ألا يكفي هذا. صحيح؛ لم تسأل؟!!

(٢٧)

ذهبتُ لإحضار أكياس الدم ليلةَ العملية الجراحية الأخيرة
الفاشلة، قالوا إن فصيلتك نادرة، وأنا بالطبع كنت أعلم،
لكن حينها تنبّهت أن هذه الحقيقة (البعيدة عن عشقي لك
القريبة من جفاف الطب الجميل) تضع حياتك على خطر
متقافز.

بحثت حتى وجدت الفئة المطلوبة وانتظرت إتمام اختبارات
التوافق.

نظرت على الأكياس الثلاثة ووجدت اسماً مسيحياً
فتبسمت لأنك مسلمة وتصلين، وقلت ياااااه. بسبب هذا
ملأني أمل، إذ إن الدنيا أحياناً أحلى وأرق مما نتصور.

خرجتُ إلى الشارع أمطرت الدنيا فخشيتُ بغبائي الفطري
أن ينفذ الماء إلى الدم فيختلطا فخبأتها في حضن سترتي، ومضيت
أقول: الماء والدم من أصل واحد، ومسيحي تبرع بدمه لمن لا

يدري فوق الحظ على مسلمة.. الكل واحد يااااا. صحيح.
شعرتُ بجمال الإنسان حين يكون إنساناً فعلاً. وتشبَّثتُ أكثر
برجاء شفائكِ لما أوَّلْتُه علامةً وإشارة.

بعد العملية الفاشلة قالوا لمْ نستخدم الدم. قلتُ، وبعد.
قالوا أعده إلى المركز وخذ ثمنه، أنتِ أوَّلِي. ووافقتِ يا حبيبتِي
إشفاقاً عليّ وحنواً كعادتك الطيبة؛ لكنني قلتُ واعياً احتفظوا
به في معهد الأورام الذي يعاني بنك دمه نقصاً مزمناً - شرط
أن يكتب عليه اسمك واسمي واسم شقيقنا الذي أهدناه.

جلسنا نبتسم بحب وأنتِ قَبَّلْتِني بعينيك وقلْبِك، ثم
شتمتني كالعادة أيضاً: «هتفضل موكوس وعمرك ما هتعرف
تحوش فلوس»، وأكملنا الضحك العالي (رغم ألمك ووجعي)
- وسط غابة مرضى يحتاجون الهدوء والعلاج والدم والحنان
والرحمة وكل شيء،،، لكن المطر كان قد انقطع، ووحلت
الشوارع بضمير؛ بعدما أغرقها الغيث.

(٢٨)

خطر ببالي احتمال وجود إله يلعب معنا الكرة أو يلعب بنا كما قال المعلم. يومًا، انشغلت في عملي وخشيت أن تفوتني مباراة اليوفينتوس في الدوري الإيطالي لكرة القدم الذي أستثقل كل ما فيه سوى اليوفي الذي أعتقد حبا فطريا؛ فالفريق يمكنه أن يفوز على أي منافس في أي وقت، ويستطيع أي خصم أن يكسبه في أي لحظة. ورغم رأيي هذا، فهو فريق كبير ومتزن، ومن أجمل ما فيه قمصان لاعبيه المقسمة طوليا بين الأبيض والأسود بنسب ثابتة حينًا وتختلف على هوى المصمم وواجبات الدعاية أحيانا. المهم أنني ظللت غير مرتاح حتى أعلم النتيجة رغم أنني لست متيقنا من اسم الفريق المنافس لليوفي حبيبي. غادرت إلى البيت مسرعا بعد انتهاء المباراة بنحو إحدى عشرة ساعة. أدت المفتاح في باب الشقة وهجمت على الشاشة كي أشغل التلفزيون وأدرك ما فات. طبعا ظللت أبحث عن القناة الناقلة للإعادة. ها هو. اوففففف..

جلستُ وكان حظي أن المباراة توشك على البداية فاضطرت إلى متابعة إعلانين أسخف من بعضهما قبل أن تبدأ الملحمة. الكرة في الملعب تخلع قلبي كلما اتجهت إلى مرمى حارس اليوفي. كما أنخلع أكثر إذا استمرّ اللاعبون غباءهم وواصلوا تمريراتهم المستهترة وتقديراتهم الفضائية. أضف إلى ذلك الكرات التي فَضَلْتُ تقييل العارضة أو أحد القائمين على أن تحتضن المرمى الذي جف ريقه. أذهلني تفاعلي الغريب مع مباراة انتهت. انتهت بالفعل ونتيجتها أُعْلِنَتْ على الملأ، وكل من يهتم بها علمها سواي. اغتظت أكثر من الانتظار.

قلت:

أَيكون صحيحاً أن الله يفعل هكذا. المباراة كلها لعبها أو أشرف عليها هو؛ بل وَقَيْدَها ذاتها وَسَجَّلَ نتيجتها، كله حدث بالفعل.

انتهى. ونحن إما مشاهدون متفرجون متابعون لا يهم اللفظ. أو لاعبون أو مجرد أي عنصر آخر في ذات اللعبة التي انتهت بالفعل وماتت لكنها مازالت حية على الشاشات، وفي عين الرائي؟!

(فعل. الفاعل / المفعول به -

معه - فيه - له - عليه) .

(٢٩)

عملتُ - فتراتٍ - فَرَّانًا في طاحونة الإعلام. وحتى وقت اشتغالي حافظت قدر ما استطعت على حمي من تروسها. وعلى عقلي من نيوبها. تَصَوُّري لهذه المهنة أنها تقع بين مقام النبي ودَوْر المعلم؛ تنوير حتى النخاع، وسعي إلى الحقيقة والقيمة حتى لو ما وجدنا في سبيلها إلا الموت. هي مهنة الحياة للحياة وبالحياة. من البشر إليهم. من العتبات إلى محطات الوصول أو على الأقل نحو البلوغ الرشيد. طبعاً أتحدث عن إيماني بالمفترض أن يكون لا ما هو كائن بالقوة!

بعضهم يظن أنه الكاهن الأعظم الأعلام بالأسرار، والمانع الضار، والمفيد المجيد، هههه.. يمكنه كذلك أن يعيد صياغة الأشياء والمواد والأخبار والأشخاص والأحداث والمناسبات والدول وكل ما هو صناعة الخالق بعدما لحقها من شوائب. كلهم مرضى ومعظمهم مُدْعَوْنَ وبعضهم جيد والمخلصون الحقيقيون نادرة!!

تتصور حفنة أنها رب الحقيقة، أو رسولها. ليست أي حقيقة وإنما الذي توصلوا إليه وما يثبونه.

المهم برأي بعضهم أن تقول. تعرف متى تقول ماذا وكيف، ومتى تصمت. تؤدي جيداً تحوز قبول الجحافل، وتصير بطلاً نجماً متغنجاً محبوباً تفتح لك الأبواب وتبيت قريير العين بأعداد المتابعين وزيادة الممولين والرعاة والمعلنين والمشتاقين والعاشقين وحتى الكارهين!!!

شَهْرٌ شَهْرٌ بمن تريد يا رجل خذ راحتك. انتهك كيف شئت ما يسميه المعتوهون خصوصية. أنت أصلاً مُحْتَرَقٌ هكذا وهكذا. ألم تسمع مرة عن حق الجمهور في أن يعرف يا متخلف؟!!!

على الكوارث يعتاشون. تلقى في كتبهم ليس الخبر أن الكلب عض رجلاً، لكن الخبر أن الرجل هو الذي عض الكلب، عقره دون رحمة، رغم توسلات الحيوان الضعيف وتأوهاتة!! نعم، هكذا، المصيبة تكون صادقة منطقية، القصة تتسق، متماسكة، مقنعة، جديدة، وتعج بعناصر التشويق والتأكيد والتشكيك إذا لزم الأمر. أنت لا تعمل ما عليك وحسب، بل تعمل ما يمكن أن يجلب لك مزيداً من الزبائن. يدفعون أو لا يدفعون، وكم يدفعون - هذه قصة أخرى يا عزيزي.

مهم بالطبع أن تنقل ما يحدث، لكن كما حدث، كما هو، بدون لمساتك السحرية يا سيد طهارة العالمين. يا كبير المعلمين، والعالمين ببواطن الأمور وسائر القشور. ورغم كل ما تقول فقد فشلت الميديا بجدارة أن تنقل للكوكب سلاسل العمليات التي تطور فيها الإنسان إلى قرد!

الأجندة هي البوصلة. القيم التحريرية. العدالة. المساواة. النزاهة. الموضوعية، المصداقية. الآنية، عدم الانحياز. الحياد. السبق. حرب اللحم في مواجهة الصلب. المواطن الفرد في مواجهة الآلات الشرسة والمؤسسات الساحقة. نظرية الأعداد الزائدة وزوائد المتتاليات، الله، وماذا أيضا. أتسى أنك بشر وتأخذ من كل ذلك بمقدار حسب طاقتك ووقتك وظرفك وما يمكنك. تقول أنا غير منحاز إلا للإنسانية، لقضايا البشر، لأصوات المهمشين، والمظلومين، جيد. لكن كيف؟

أسرع. الخبر سيفوتنا. ستتذيل قائمة المشاهدة. أسرع وإلا أَفَلْتُكُمْ جميعا. أووووه. لقاء حصري. للمرة الأولى يفرغ ما في جوفه - جيبه، أقصد صدره!! انتظروا حوارا أسخن من قعر الشمس.

ما أهمية ذلك. الناس سيشاهدون. وبعد. سيعرفون. وبعد. يقررون. يا سلااااا. ألا تشك في تدخلك. وفي اختيارك. في غرضك. هدفك حتى لا تغضب. هه. وفي الموعد والمكان

والظرف. في الحقيقة أم الصورة. الصوت بإخلاص أم الكلام الذي تريد. هل تراعي هذا كله بتجرد..

يصفقون إذا تحدث أحد عن بسالتهم ومهنتهم وظرفهم ولباقتهم وأناقتهم وكفاءتهم. يتتبعون إذا شاهد أحد ما قدموا. يتنفشون بفيلم وثائقي عرض في صالة مليئة عن آخرها، والصالة ذاتها بها مقاعد لئمة فرد فحسب؛ بل هي صالة في الصين ذات الكتل البشرية الهائلة، ويعود المراسل يقول إن الإقبال رهيب، رهيب - زميلتي (المزّة) المتألقة في الاستوديو أعود إليك!!!

هكذا وهكذا وهكذا، صار العدد معياراً مُهِمّاً، ربما الأهم - الكم بأي كيف أو كيف تَمَّ تَكْيِيفُهُ. تتكلم يقول نعم مهم بالطبع وإلا تعمل لمن؟ طيب، وهل أنت علمت بالفعل ما الأفضل والأجدر في المطلق، أو سألت الناس - جمهورك ماذا يريد وماذا يحتاج؟ ومتى وكيف وأين ولم!!!

الحريق مشتعل وهم منشغلون بتغطية ما يحدث لا بإطفائه، هههه.. الحرب دائرة وهم يتابعون التطورات والأحياء والأموات - لا ينقذون أحدا بل يكون بحرقه على عدم ازدياد أعداد القتلي من النساء والشيوخ والأطفال والعجزة!!! (الوقت دا مش أولى بيه الإعلانات والبروموهات!)

يقول وما المطلوب مني سوى هذا. كُلُّ حسب طاقته. كُلُّ حسب ما يستطيع، نحن لسنا جهات تنفيذ. نحن نتكلم. نقول. على الأقل نقل ولا نسكت. اااااااااااا. صدقت. لكن، هل تعتبر لذلك فقط أهمية. أية أولوية بشكل ما. ألهذا تعيش. أو بالأحرى من هذا وعلى هذا وبه تعيش؟!!!

كل ما تبشه وتكتبه يوميا يعرف طريقه إلى القمامة أو على الأقل في أرشيف بائس لا يطلع عليه سوى بعض باحثين عاطلين؛ أو طلبة مساكين، لتفسح المجال لحدث تالٍ أو بطل حادثة جديد.

يااااا. تصور قتلوا الصحفية التي كانت تطارد الفساد. حتى زميلتكم، مجرد خبر تذيعونه إلى أن يأتي آخر يحل محله بجذب أكبر. يااااا، اعتقلوا زملاءنا، ثم بعد؟!!!! حملات وتقارير وووو...

يقول يكفي أننا نوثق ما يحدث. هل أنت مقتنع بما تقول يا سيدي العائش في عالم حاد بلا ضمير، مفزع، شنيع، شديد القذارة، هش وقاس، جاحد وشاحب، ضامر ومتعجرف، بلا قلب أو عقل، قَزَم مُتَغَوِّل. مليء بالأشباه والأشباح والشياطين والظلام. مبدع في الكوارث والأسى، وفي القتل والتهجير والتجويع والتعذيب والاضطهاد والاعتصاف والقهر والتضليل والاستغلال والظلم والبشاعة، والوحدة

والوحشة، والتوحش والريبة والذعر والقمع، والمرض والذل، والزيف والنقص والكذب، الادعاء والتمثيل، والافتراء والتشهير؛ رغم ما فيه أحيانا من بقع جمال يبدو أنها وجدت سهوا، أو بأفدح ثمن دفعه أصحابها ليثبتوا أن لا مفر أمامهم سوى النصر أو الموت - كما قال عمر المختار الذي لم يستسلم بالطبع، وإن قُتلَ في النهاية أيضا!!!

ما هذا؟! يسبحون في بحيرة الشمع والقار كأنهم النعامة التي لا تطير كالإوز. الكل أبطال وفاشلون وجناة وضحايا وجلادون وصيادون وفرائس وقضاة ومتهمون. سمك كبير وصغير. الكل جميل الكل قبيح - كما تقول الأوراق والوثائق وساعات البث والموجات وحسب التردد والاستقطاب والترميز. المهم الخبر يا أساتذة حتى لو قتلنا أصحابه، هم ميتون ميتون، لسبب أو لغيره ميتون يقيناً، يعيشون ويعانون، فهل نترك مساحاتنا خاوية ونقعد نهش الذباب مثلاً؟!

يثرثر، ثم يتقيأ ثم يتبول ويتغوط، فيعود يثرثر ويتقيأ، فيثرثر ويثرثر ثم يثرثر ويثرثر ويتقيأ. يعرف كل الكل وعضو الشيء ومادة القضيب وخام المهبل وأرقام الشاسيهات حتى، ههههه.. عادة كل أرض أرضه، وكل موضوع هو رائد علمه في الجامعات ودور الأيتام. هو فنتاس الحاجات وفحل التفلحس الجاهز دائماً أي وقت ومكان وظرف - وفي تحضير نفسه لأي

مناسبة حتى إذا ولج عالماً جديداً عليه تماماً استخول في بني فلان وعلان، ضبط العزوة والعدة وجعل لنفسه في دار الغربية أحوالاً وأعمالاً وخالات وعمات وأجدادا وزوجات وأبناء حظ. يعني:

المهم الخبر يا أساتذة صدقوني، نعم، فلتحافظي على نفسك أيتها الحقيقة حالماً نحتاج ظلك.

أعزائي الكرام - تذكروا دائماً؛

أن الشيطان يكمن في التماثيل..

(سيكوا بقى من شغل التليفونات والاجتماعات والعلاقات العامة والتلطيف والمعاهرة ده!!)

يقول يا أخي لم تتحمل علينا بهذا الشكل، ألا ترى المعلم الذي لا يتعلم ولا يعلم، والقاضي الذي لا يقرأ ولا يعدل والضابط الذي لا يحمي كما ينبغي واللاعب الذي لا يلعب بجد، والطبيب الذي لا يعالج إلا بثمان والمهندس الذي لا يتهندس إلا على أهله، والعالم الذي يبيع والتاجر الذي يتاجر بكل شيء وفي كل شيء - يا أخي حتى المرأة لا تحبك إلا بأجر!! أقول وبالله التوفيق: يا سيدي لا تنظر إلى الغراب فحسب. أرجوك: كن حمامة حقيقية وجميلة وناعمة؛ لا مجرد بيضة.

أعتقد أن الكل في حاجة لمراجعة ما يقول ويفعل؛ لأنني حتى الآن أرى أنها مجرد أرزاق. أكل عيش - مهما تَبَرَّجَتْ الأسبابُ وتَبَهَّرَجَتْ السُّبُلُ!!! ملعونٌ من أقام نظام العالم بكل تلك البذاءة.

الجدير بالذكر، ومراعاة للمصداقية والشفافية والسبق والموضوعية والنزاهة والحياد وعدم الانحياز، ينبغي أن أشكر للإعلام تعريفنا بعظمة الحكام والمحكومين، وبالطبع عظمة الإنسان، وفن المفكرين وفكر الفنانين وإبداع من فاز في الانتخابات وريادة من خسر، ومن يعقدون اتفاقيات وصفقات ومعاهدات ومحادثات يليها مفاوضات تتبعها مباحثات ومباحثات ومباحثات.

كان الشيخ الضئيل قد زار واحدة من أقدم وأكبر حدائق الحيوانات في العالم، بها ما لذ وشذ، وطاب وشاب من الكائنات لاسيما المنقرضة. نعم، يجبها بشدة هذه الكائنات المنقرضة. كذلك، أعجب كثيرا بالمهددة بالانقراض، وظل يعدد عجائب الطبيعة الكذا والكذا، ويؤكد أنه بين هذا وذاك، لا يخطر ببال الزائر سوى تذكر خالق الكون، وشكره أن شاءنا بشراً، وخلقنا في أحسن صورة، ومزايا محصورة، ومرايا مكسورة، ومعجزات مثورة ناهيك عن الأخلاق المحفورة!

في السياق، شتم السياسي السياسي، مع أن كلا منهم هو وحده الصادق العالم المخلص، المتسق مع ما يؤمن به، وتؤمن به أمته التي لا تعرف هي في حجاب عقل أم عقل حجاب. وماذا عن عقل العقل وقلب القلب ودنيا الدنيا والطبيعة والميتافيزيقا والباتافيزيقا وبقية الحاجات؟؟؟

من ناحيتي يمكنني تعداد أفضال الأعلام على العالم وعليّ تحديدا. صحيح أنني كثيرا لا أعرفني؛ لكن لا يغريني ذلك باقتناص أدوار غيري وتقمصهم في دراما البلازما بذواتهم في حين لا أرى ذات ذاتي أصلا. المهم، يكفيني أنني بسبب التلفزيون وألوانه الراقصة عرفت بسعادة أن الفتيات الجميلات يزددن حلاوة وطهرا كافرا في زي التنس والجولف. ويقبحن تماما في زي المسئولات، ههههه، أما الفتيان فهم دائما قبيحون يا جمهوري الحبيب.

والسؤال الأعظم بالنسبة لي، هو ما أسمعه من المعلقين والمعلقات الصحفيين والصحفيات الأحياء منهم والجمادات: نجمتنا الجميلة: اسمحي لي أسألك سؤالا حار فيه الدهر وانتحر.

هههه، إيه!! انت كل دا ما سألتش. يا راجل دا انت شققتني من الملعب قبل ما انشف عرقي.

الكاميرا على الراجل وهو يفرك في كرسيه ويلف كفيه على بعضهما بضحكة صفراء جميلة، ولا كأن الكلام لي خلفته.. المهم، إيه بقى السؤال؟! اتفضل.. طبعاً أنا مؤمنة تماماً إنو من حق جمهوري يعرف فين بينام عصفوري.

هههه، عسل يا بطلة وربنا. بس الحقيقة سؤالي: ليه بتلعبى جولف مش تنس، أو لعبتي تنس مش جولف؟ ههه، أنا بس بحاول أعرف الجمهور على نجمتنا وأقربكم من بعض مش قصدي أخرجك أبدا ولا أتدخل في خصوصياتك الداخلية وحياتك الشخصية، براحتك يعني، ههههه.

*طيب تمام. سيني بقى أقوم آخذ دش. الكاميرا على النجمة وهي ترحل قبلة على كفها للهواء!

كان حواراً عميقاً وعظيماً ومهنياً بحق. أما عن لون شعر العصفورة وخديها وعينيها وشفتيها، وزغبتها الشبقي وفتنة يديها، وجمال صورتها المتكاملة وصوتها الذي يُحْيِي فؤاد الميت - فإذا تفضلت صديقي الكريم؛ ابعث لنا على موقعنا، والحق ادخل صفحتنا بسرعة واعمل «لايك وشير» ثم تابع الميديا بانتظام يا أخي. احنا كمان هنشرف على مزاج أهاليكو!!!!

(ملحوظة: هذا المحتوى يحتوي على احتواءات خارجة قليلاً ربما لا تناسب سهرة النشرة)

بهذه المناسبة السعيدة؛ تعرفين يا كلارا أنني أيضا دُبُّ أعمى
يقف على لونه الخلفي ويلعب في عضوه غير الأصيل لعله
يرتجف بحب حقيقي يموت عليه بعد أن يعيش إلى الأبد؟!

اسمعي! حين ركبت الطائرة مرة بعيدا، كانت المضيفة
امرأة نموذجية؛ فسئمتُ عِطْرَهَا النَّاهِكَ - الزاحفَ بنشوة
غاصبة بين ساقي. ساعتها فضلت البقاء في المؤخرة نموذجيا
مصطفى صحيح؛ لكن على غير مثال، وقلت:

رافي قلبي هناك ماشي ودائس في السحاب حافي

جسد ييشف روح بتجف والباين غريق طافي

تقول اليوم بقى كم يوم وأيامك محيط صافي

يقوم النوم يقول اصحا وسيب النوم يا دوب غافي

آآآآ.. عالم كلاعب رماية كامن يخفي الدخان أنياه
وحوافره. تاريخ جاحد، وزمان بكرش مخروم وذيلين متآكلين
وشبكة قرون متجددة..

العمل يفسد الأشياء. قلت هذا وكان الجبل الأسود من
بعيد أخضر من قريب، وكانت الحاجة في البحر، ثم تعلق
ببالون ذي وجه أصفر يتسم..

قلت: ماذا يفسد العمل؟

العامل!

وماذا يفسد العامل؟

الأجرة!!!

كل الأجرة؟!

كلها.

ماذا إذن، لا نعمل؟!

سل الأشياء فقد تجيب.

لا، فالشخص العاقل هو من يقبل اللاعقل برضا،
والإنسانية بانفتاح، ثم يعطي نفسه لمغتصبيه بفرح.

(ألم أقل سابقا لا تسألوا عن - معنى !!)

هه! لا عليك. حكايتك مؤثرة بحق؛ لكن - لا تصلح قصة
إخبارية تبعث على التداول.

المصلحة: لا تقتضي؛ بل تعض، وتنهك..

هل يأتي يوم نؤجل فيه اللهات قليلا ونقبّل رأسه؟! نقول:
الشعر لا ينتهي. الشاعر لا ينتهي؛ يسند العالم بقضييه، والعالم
مؤمن بتطرف - أنه واقع، ساقط.

استهلكنا كل شيء، ولا شيء! حبيتي، صدقيني مرة أخرى،
أخيرة: لا شيء..

هاه، ماذا؟ - لا. لا عليك!

أووو، مازلت تحتبيء وراءك خلف الحاجات - ولا تريد
مصارحتي. قل: ماذا تحب في أكثر؟! صدري أو شفتي أو
شفرتي أو أو أو أو..

كل شيء يا حبيتي.. كل شيء.

طيب..

أَقْنَعْ بما بلغ. لاااااا، أنت لم تعرفه بعد؛ إذ هو نفسه لا
يدري لماذا يَتَشَحَّطُ كالمقتول بدمه ويضطرب فيه ويتمرغ؟! -
بل تأتي عليه ساعات يُسَقِّسُ بحق. هههههه..

سارت الكاميرا. رصدت كلبا يقف على قدميه الخلفيتين
فوق سقف سيارة، وبقدميه الأماميتين يرقص ماكارينا.
اقتربت منه حتى هَلِعَ ورحل عن وطنه العالي إلى أرض
الشتات. ما أقسى الوطء! قفزت الكاميرا مكانه وبنت عشا
ثم باضت. تابعت الأفراخ مهمة السلالة فرمت قشرا كثيفا
وزغبا حتى انسدت أنابيب السماء وخراطيم الغابة فانشنت
أشجارها على هزبر ولبؤة.

(الإضاءة فقيرة جدا - تلمع حادة شديدة تُعمي في عز النهار بكل حره ورطوبته. والغيم يحاصر مركز أي دائرة بالمحيط ..

الهزْبُرُ واللَّبْوَةُ يَتَمَاسَّانِ على طبيعتهما. قبضا على أعضاء الشر وشرعا يفكران في جدلية الضفيرة المُسَرِّحَةِ جيدا: إطلاق العنان للغرائز أو إطباق الأمان عليها؛ إذ كما تعلمين حبيبتى «لُولُو» فالماء طَبَقٌ للأرض؛ يعني محض غشاء، هههههه.

تراجعت الكاميرا فالتقطت صورة لي مرة كثيرا جدا لا أدريه حين لم أُخَيَّرَ بين الفيلسوف اللغوي لودفيج فيتجنشتاين وأخيه الأكبر الموسيقي. الفيلسوف الموسيقي الفيلسوف الموسيقي؟! آه، بقلبي وعقلي اخترت الفيلسوف اللغوي كعادي، مع أنني اخترت الأخ الأكبر بالطبع.

قلت لك إن المبدع إنسان بريش أصلي زائد حتى لو كانت أعضاؤه غير مكتملة. هو ليس بمجرد الكائن الإنسان المتواقع المنزاح وحسب. صدقيني.. لا يبكي كالأخرين أبدا.

الكاميرا بلون باهت جدا تحمل صورتي أنا بول فيتجنشتاين حين استدعيت للحرب العالمية الأولى فلم أكن أنا. عمري وقتها كان تقريبا ستة وعشرين. الأعجب أنني كنت رسخت سمعتي كعازف بيانو على مستوى عالمي ينتظره مستقبل

على الناصية. حاولت انتظار هذا المستقبل جيدا فاحتضنتني
المعارك بحرارة شديدة - بترت معها ذراعي اليمنى ..

نعم. الكاميرا وأنا أعزف. عزفت عزفت حتى بترت
ذراعي اليمنى كما قلت؛ فتخاصمنا أنا وكل بيانو ليس في قلبه
سوى الأبيض والأسود.

أنا بول فيتجنشتاين الذي يحب مورييس رافيل الذي يحبه
بالفعل. متأثر بانطباعيته مازال. أَلَّفَ لحسابي كونشيرتو البيانو
الشهير لليد اليسرى. وفعلا خرجت الموسيقى عن أكثر من يد
وقلب. العقل يظهر بالمونيتور غير مصدق - كما لم يستوعب أن
الحب صانع المعجزات الحقيقي، وأن الذراع الوحيدة تستطيع
إنبات جسد كامل بروح تامة، ونَفْسٍ حولها مجمع حقائق ..

الكاميرا معي لما عدت من الحرب؛ أحاول التمسك
بفوارغ الطلقات - ونوتة الدخان والغبار والأنقاض تتوزع
على سائر الآلات.

الكاميرا ترافقني في زيارتي لأصدقائي الكبار وأنا أطلب
ثم أكلفهم بوضع ألحان ليدي اليسرى. أعمال اشتغلت عليها
قبلها بمحاولة تطوير الأداء وتحسين قدرات الأصابع الخمسة
الباقية لتعوض الخمسة الراحلة. تفضل منهم كثير بما دفعت
له، وفعلا أفسدت عملهم وهديتهم بتدخلي مرة في الحذف

والإضافة ومرة بعدم فهمي المنطق الداخلي للمقطوعة!!

المهم، قلت أتزوج. تذكرت ذلك وأنا في الكاميرا شاب ذو سبعة وأربعين عاما مع تلميذة لي بالثامنة عشرة.. بعد أول درس حملت بالطفل الأول من اثنين كنزناهما قبل الزفاف. وأعتقد زينت بهما زوجتي باقة الورد التي ألقتهما من وراء ظهرها، فتلقتها بنات حواء اللواتي حضرن احتفال تدشين الجنة.

الكاميرا مازالت معي. صورتها لزجة بيضاء تميل إلى الصفرة - وأنا أزور بنك الدنيا لحفظ السوائل المنوية. الهدف تكرار العالم حين نخطيء في الإملاء؛ فكما تعرفين التكرار يعلم الحمار، والحمار كما اتفقنا من الأصول البعيدة الأقرب تماما لإنسان الذيل..

الكاميرا تضع قناعا آخر وهي تعود إلى الخلف أكثر فتسأل كيف لي - أنا لودفيج فان بيتهوفن - الذي يتمتع الآن بنعمة الصمم - أن يؤلف السيمفونية التاسعة العاقبة بأنشودة السلام والصدقة والمحبة والإخاء والفرح - حتى تعزف الأوركسترات نوتات السكينة لا التشفي والسخط والقنوط والانتقام، وهو العمل الذي سمعه هذا العالم والعوالم المتعالة - كل هؤلاء غير واحد فحسب هو مؤلفه!!! لا أدري أقول لم يسمعه بأذنيه اللتين كاذانا أم أقول لم يسمع فقط أو سمع وأدعها تسبح!!!

هل راضٍ بكل ما حدث ومَرَّ وما لم يَمُرَّ؟! - أَيْكون قانعا
إلى هذه الدرجة بما فعل، أم يائسا تماما بسبب ما لا يمكنه
فعله؟!!!

أو أن الفنان الحقيقي: نبي. بل إلهٌ - صادق. المهم أن نوباتي
الإبداعية تفقدني الوعي الحولي.

الغريب كذلك أنني كأغلب العباقرة شديد الحساسية بكل
شيء خاصة الجنس الآخر. يحكى عني منذ الطفولة أنه لم يكن
يمضي عليَّ وقتٌ دون أن يصر عني الهوى ويغمرنى بضرباته،
حتى قضيت كل هذا العمر بلا حب مكتمل كالمعتاد!! نعم..
كان حظي واحداً من سلسلة ملهياتي. بل لم يترك لي حب أولاء
سوى المرارة والأسى مهما حدث؛ فأغدقت قواي المبدعة على
فني وحده. أنا الرقيق النقي؛ الثائر في كل شيء - على كل شيء،
أو أحد.. أنا الكائن الذي جَماعي.

آه. رغم أنني لم أكن متدينا بالمعنى الضيق، إلا أن الله زرع فيَّ
إحساساً عميقاً بأني ابنه. مع كل ما كابدت لم أختم حياتي مثل
حبيبي موتسارت - الطفل الإلهي، الذي كلفته ثورته الفقر
- حتى انتهى جثمان هذا الملاك إلى مقابر الصدقة، ولا يعرف
العالم له مكان وفات!

الكاميرا تغير القناع وتستمر في دورانها على خلفية افتتاحية
أوبرا تانهويزر لريتشارد فاغنر.

دخل فوجد جوقة نساء تنتج كلاما بكميات جيدة. قال له
الطفل عانقني برقة أكثر. آآهه.. ماذا فعل غيابك يا جيمس
- بك؟؟!!

حاول تقبيلها فنجعل. مدت يدها بجسارة خلف رأسه
وجذبتة ناحية نار شفيتها حتى احترقا طويلا وصرخا. فزعت
الغابة على قبلة الحياة بطعم السعادة المقشورة فيما تجلس وراء
الجدار امرأة وحيدة جدا وينام خلف النافذة امرؤ وحيد يبكي.

الوحيدان تبادلا القبلات من بُعدٍ يقسو ويقسو ثم يقربهما
من سُرّة البطن المكشوفة جيدا بشكل يجعل عرض الزواج
مغريا بغزارة.

أول ما قال الآن أعلنكما زوجين؛ غرقا في عرقهما، ثم
صحت الغابة عن آخرها ولم تنم بعد هذا قط..

الكاميرا في قناع جديد والإضاءة حاملة وفي الخلفية تعزف
افتتاحية أوبرا الهولندي الطائر لريتشارد فاغنر ثم قصيد
الرقرة السيمفونية «المولداو» لبيدريتش سميتانا..

المشهد يحتدم بشفافية لم يعهدها.. في نفس واحد سأل كل
منهما الآخر: لماذا تحبني؟ ثم - هل تحبينني حقيا حبيتي؟

الكاميرا الصغيرة على طفل نائم يردد: قد نكون صديقين جيديين؛ لكن كحبيبين - لا أدري يا حبيبتى حقاً ما أقول!!!)
بالمناسبة، كلما زادت حركة الكاميرا تشكك جيمس في رؤيتها أكثر!)

قال جيمس: لقد جئت أطرق الباب كثيراً فلم أجد شيئاً في الغابة سوى صوت غريب يغني - ويبكي - حتى ينام.

تعانقا بحُمى فانكشفت سُرَّتاهُما على مَهَلٍ يتراقص..

(الكاميرا على الأقمار الاصطناعية تتحرك حرة في الفضاء الجيد وتضطدم..

يووووووووه،

المهم.. ما الذي حدث بَعْدُ يا سِتَّ الماء؟!!!

ليته هداً حبيبي.. مِنْ وَقْتِهَا يا عم أخذ يشتم؛ وَضَع مكان عينيه حَلَمَتَيْنِ، وَصَوَّرَ نَفْسَهُ سِلْفِي بجوار العالم.. قال فيكم منكم يا أولاد الد.. قال يا أبناء الش.. ماذا تظنون أنفسكم، هه..

هل تستطيعون تربية اللغة - مثلي - كالسمك؟ هل تضعون الكلام في الحوض كما أفعل؟!!!

هل تمشون على حبل الشمس بقدم واحدة، بل بإصبع وحيدة.. تصعدون السماء حين تحلبون وتفلقون الأرض حين تستمنون؟! تعدلون المايل بأرنبه الأنف ثم تكلثونها لعدلٍ آخر من حيث لا تدري نفس - تحتوون محيطكم كما يخلقكم أجنةً في بطون كل شيء - تكتوون بالنار كالملا بس المغسولة فتستقيم أنسجتكم وتكون جاهزة - تَقْلِبُون الحال فيبقى القادم مغادرًا وفي يده حزمة ورد لا تذبل أبدا - تسيرون على قَلْبٍ فيُمسي أعقل من حذاء أسرع رجل فوق البسيطة؟! أتحملون الوقت في جيوبكم فلا تَتَصَابُونَ قائلين أثقلتنا الحجارة، تُقَطِّعُونَ الموسيقى بأسنانكم وتُحَنِّكُونَ بها صغار الأنبياء.. تذبحون الخوف على عتبة الحذر وتدخلون من الأبواب وهي مُعَلَّقَةٌ بالماء.. أتنامون أقل من النوم وتأكلون أقل من الصائم الدهرَ وتمزحون كالموت مثلاً!!

لا تجيبون الآن، هاه!! أنتم لستم مِن هنا أعلم أنكم خواجات والله لا أكثر. لا تجيبون مازلتُم، أنتم لستم مِن هناك أعلم أنكم هكذا لا بَلْ أَقَلَّ..

أنا لا أشتُم إلا العالم، هُوَ سَمَّاكُمْ موجودين، وأنا لَيْسْتُ - كما ترون - تلك الأقرأط في فمي، والمخدَّرات التي تَسْبُحُ في طَبَقِ الحاجات، وأنا.. عليكم أَنْ تُثَبِّتُوا فعلاً أَنَّكُمْ هُمْ حقيقةً كما أَنَّكُمْ هُمْ أنتم.. وأنا: (أُذَكِّرْكُمْ بالطبع أن عروسي قد

ماتت وهي تمزق بشفتيها غشاء الخمر، فكان كلُّ هذا الدم
الذي يقفز من حلق النوافذ..

-

(عمل يملك عليك كل الجوانح والجوارح وأنت سارح..
«باريس ريفيو»

إنتاج جميل بحق تستطيع من خلاله استشفاف روح الشعر
غير الملون.. «واشنجطون بوست بوك وورلد»
واحد يقول كأنه يسير وهو مائع ويدعوك لمشاركته أحلام
الفقس..

«شمعون بن ميمون، مؤلف كتاب العادة العلنية في سر
الجسدانية»

كلمات لا تدري هل تقفز عليك أم تقفز أنت عليها..
«ابن الجنّي، صاحب العدوّ الشامل في احتباك الكامل»
ألا يستحي أمثال هؤلاء حتى الآن؟! مقرف، مقزز، قميء
«ابن منقذ، وزير البيئة السابق في حكومة ظل الشعب»
بعض من الكل حينما يكون الجميع أكثر احتمالية من
الجزء. عادي يعني..

«نيويورك تايمز بوك ريفيو»

طبع على نفقة الدولة - سلسلة الموهوبين

رقم الإيداع: اترك تسلسلك وسوف نتواصل قريباً حينما
تتحقق..

جيمس، مازال يفكر بعد الخطوة بقليل طويل. قال: أزمة
الإنسان تكمن في أنه إنسان. يا سلاالم. الناس وأنت في
الشارع يكونون في الشارع. الناس وأنت في البيت قد يكونون
في الشارع. تعجبني تماماً قدرتك على مسك أنابيب الاختبار،
وحفظ عنوان المعمل - حتى هذه اللحظة.

ثمانٍ وثلاثون سنة وأنت تحاول في تدريب الذاكرة على كرة
الجرس - كرة الجرس تعلقها في رقبتك، وتصيح في العميان
من معه هاتيك الكرة؟! الكرة لعبة يقولون في السر إن أصلها
كان المربع صفر، ولما تشابكت الفرص باختلاف الأضلاع
آثر الكابتن أن يدرس الخطوة جيداً. قال لصحابته: تكمن
أزمة الإنسان في أنه إنسان!! تخيل.. حتى أنت لست في بيت
حقيقي. كذلك البيت يظهر أنه ليس في بيت آخر حقيقي، كما
أن الشارع والحي ليسا أيضاً كذلك!

مشينا معنا نخلي الكلام من البلاغة؛ فكنا أقرب من الماء
للماء في الماء. طرنا معاً بجناح واحد؛ فصرنا ديناصوراً أعرج

بإخلاص. سرنا على جسر طويل؛ فوصلنا قبل وقت البداية. قفزنا في اللفائف القديمة، وبعض كتب الطبخ الحديث، فاحترق الطعام البائس بسرعة..

المهم: صدقني. وكما قلت لك: بينك وبين فعل الرؤية فعل! لا تَنسَقْ وراء نظارة الصحافة!!

هم لا يفعلون شيئاً؛ بل ينتظرون الأشياء تحدث أو تتجهز أو حتى تُبْقَى لِيُتَقَبَّحُوا!! لا يكفون عن الحديث البارد والمغلي في درجة حرارة تفقح فرن الشمس. الحديث عن الأشياء لا فيها ولا معها بحق أو جيداً، أو كما تقول الأصول!! كما لا يصنعون شيئاً بل تصنعهم الأشياء وتجعل لهم قيمة في سوق الحاجات من لا شيء بلا أي شيء سوى ما يفعلونه من بضعة أشياء..

اختصاراً؛ لا دور لهم أكثر من أي أحد آخر بل أقل وأردأ والله صدقيني. هه. ماذا تنتظرين ممن يعيش دائماً في البركة كنجم، وتتكلم طوال الصمت، ويُشَرِّمُ الحياة وتفدغ الموت - فضلاً عن السير حائماً في حلقة برنامج ليست مستديرة بما يكفي لانقطاع الطمث!!!

هاه. أو وفففف.. أخيراً!! رغم كل شيء، حاولت صدقيني أكثر من مرة أن أنتقل إلى وظيفة عامل نظافة أو كافيتيريا.

لم يوافق مديرو الموارد البشرية والمالية لأن لديهم ميزانية مخصصة لي، وهي بالطبع أجر أكبر بكثير مما يأخذه المنظّف. هم مضطرون إذن إلى الإبقاء عليّ، وإن كانوا يفضلون تسريحى كاستجابة لتعليمات تخفيض النفقات، أو حتى الاستيلاء على أموالى المبعثرة دون أن يدري بهم أحد. لكنهم - وكعادتهم الرقيقة الرفيقة معي - أكدوا أنهم سينظرون في أمري حال تسنح الفرصة؛ خاصة بعدما قالوا لي، اصبر - ربما تكون في مكان أفضل. أمّا سمعتَ عن تسريح سائس الجراج التابع لبنايتنا؟! آه والله حصل كما رويت ليس بالضبط!!

ألم أقل لك إن كل من يعمل بالميدىّا خوّل. صدقيني. هم حَشَمٌ ورعاة وحاشية وحائزو نعمة وملكية، وخدم وعبيد وإماء؛ بل الحافظات للشيء القِيَمُون بالأموال وإصلاحها. خَطِرُونَ على ثَغَر. ليت هذا وحسب. تخيل - حتى ابن منظور الإمام المصري الحجة محمد أبو الفضل جمال الدين الأفرقي يقول بلسانه في المشتقات من المادة/ الجذر: إن الخال هو لواء الجيش يا مؤمن!

لذا، أحبابي؛ إذا استخولتم - جيداً - لا تكونوا كدبابير الورق أو الضفادع أو صيادي العنكبوت..

آآآآآ.. لما سبق يا عزيزتي، ولغيره - من إيضاح لعناقيد
عمليات التصفية - تركت وظيفتي، وحياتي السابقة الحالية،
ورحت أرعى الغنم مع أصدقائي البدو والعجر والشطار
والصعاليك - الذين أحبهم ويحبونني بحق.. أي نعم؛ أحبهم
ويحبونني، وتحب أشياءهم أشياءي!!

كما بدأت جديا - وأنا بين القطيع - أفكر في روايتي
الحقيقية، بصدق.

(٣٠)

تهكم على قراره المعتاد بالإقلاع عن التدخين. سخر من نفسه واثقا في إرادته إلى أقصى حد. ضحك وهو يفكر أن كل التأمّلات العميقة أو حتى العقيمة لا ينخرط فيها سوى مع دخان. أووووو. هل هناك علاقة بين الشُّطرنج والمَهْبل. أَيْكون كالينّ واليانج. الذكر والأنثى. الأبيض والأسود. الليل والنهار. السكر والملح. الدقيق والهيروين والكوكايين. الإنسان والأفيون. الحامض والقلوي والمحدب والمقعر، وكل هذه المتضادات المتحايثات المتلازمات. يجوز.

المَهْبلُ في لسان ابن منظور: الرَّحِم. وقيل هو أقصى الرحم، وقيل: هو فَمُّه، وقيل: هو مَسَلُّكَ الذَّكَر من الرحم، وقيل: هو طريق الولد، وهو ما بين الطَّيِّبة والرحم؛ وقيل: هو موضع الولد من الأرض. وقيل: هو البهو بين الوَرَكَيْن حيث يَجُثمُ الولد؛ شَبَّهَ بِمَهْبلِ الجبل وهو الهُوَّةُ الذاهبة في

الأرض. وقال بعضهم: المَهْبِلُ ما بين الغَلَفَيْنِ أحدهما فَمُ
الرحم والآخر موضع العُدْرَةِ. والمَهْبِلُ: الاست. والمَهْبِلُ:
الهواء من رأس الجبل إلى الشَّعب.

وقال أبو زياد: المَهْبِلُ حيث يَنْطَفُ فيه أبو عُمَيْرٍ بِأروْنَه.

وقال الأزهري: اهْتَبَلَ الرجلُ إذا كذب، واهْتَبَلَ إذا غَنِمَ،
واهْتَبَلَ إذا ثَكَلَ. والاهْتَبَالُ: الاغتنام والاحتيال والاقتصاص.

والمَهْبَلُ: الكثير اللحم المورَّم الوجه. والمِهْبَلُ: الخفيف.
والهُبْلَةُ: القُبْلَةُ. والهَبَلُ: الثُّكُلُ. والمُهْتَبِلُ: الكذاب؛ حكاه ابن
الأعرابي.. (كما لا ننسى أن هَبَلَ صنم كان بالكعبة !!!)

وفي مقاييس ابن فارس: الهاء والباء واللام فيه ثلاث
كلمات؛ تدل الأولى على الثُّكُل، والأخرى على الثُّقُل، والثالثة
على اغترار وتَغَفُّل..

وكما تلاحظ أن الأبرز في صوت الكلمة هو الهاء؛ الحرف
السادس والعشرون من حروف الهجاء، وهو مهموس رخو،
ومخرجه من أقصى الحلق..

وهو حرف للغية كما في إياه، وللسكت، كلاحقة لبيان
حركة بناء في آخر الكلمة، مثل: مَاهِيَه، كِتَابِيَه، وازِيدَاه.
وأصلها أن يوقف عليها.

أما الشُّطرنج: فهو لعبة (أو رياضة ذهنية - كما تحب -) تلعب على رقعة ذات أربعة وستين مربعا، كدولتين متحاربتين كُلُّ باثنتين وثلاثين قطعة - تمثل المَلِكَيْنِ والوزيرَيْنِ والحَيَّالَةَ والقِلاعَ والفِيلَةَ والجنود.

مما تقدم من عرض موجز جدا وبسيط تماما أيها السادة الجالسون على تلك المنصة الشريفة، يتضح لحضراتكم أساس نظريتي الدخانية. نعم. ألا تذكر «المهبل» خاصة حرف الهاء وما يرتبط به من كلمة: الرِّحْم، هواء، الكذب، رخو، مهموس، هوة، ثِقَل، وثُكُل وفَقْد، واغترار وتَغَفُّل، والاعتنام والاحتيال والاقتصاص، ومَسْلَك الذَّكْر من الرحم.

والشطرنج: لعبة، دولة، حرب، ملك، وزير، جيش، هههههه

إذن فالرجل ذو الشطرنج، يلعب حاسبا خطواته كلها معتقدا أنه مسيطر ولو بعض الشيء؛ إلا أن كل حركة تبدأ وتترتب وتتبع وتتأثر تماما بما يقابلها وحولها من حركات الخصم، مع حسابات الاحتمالات أو العشوائية كذلك.

أها. أما تلك فهي المرأة، وهذا سلاحها التاريخي الفاتك. وها هو الرجل، وهذا لعبه التاريخي الحافز. إذا التقيا، ظن الرجل أنه اعتلى، وتمكن، واستعمل كيف يشاء، ولا يدور

بخلده أن أبا عمير غير متحكم تماما في كل شيء؛ أي شيء!!
وكما ينطفئ ينطفئ (حتى يقولون جاء وسيفه ينطفئ دما
بمعنى يقطر!!) . كذا، لا يعلم أنه كما يجامع يجامع، بل قد
يكون المهبل مغتصبا داهية ومحتالا حقيقيا، ووحشا قناصة
مفترسا، يفرش لأبي عمير الحرير في سرير المتعة الحاملة؛
حتى إذا وقع المحذور اغتصب المهبل هذا المسكين المهبل،
وسحقه!!

لا تحجلي مني يا حبيبتى، فهذه هي الحياة، وليس الأمر
فحسب ذاك العضو وتلك اللعبة.

يعني يا أعزائي، لا تغتروا. ولا تتغافلوا. وأحبوا بعضكم
بحق وصدق ورقة وإخلاص. تلك وصيتي. أنا الآن
سأترككم عائداً إلى كلارا، هي تنتظري منذ زمن، وما زال بيننا
كلام طويلاً وهبلاً.

(٣١)

قرر جيمس ألا تكون روايته عن حدث أو شخصية. تجهز لكل شيء. أدخل البيت تماما. ملأ الجدران بالمرايا. كلما سار قليلا تاه كثيرا. وجد نفسه مضطرا إلى اختيار ركن يجلس فيه. مرآة أمامه وثانية عن اليمين وثالثة عن اليسار وأخرى خلفه. نظر إليهم ف شعر ببدء انقشاع ظل الوحدة القاسي. نظر أخرى فأدرك أن كل من حوله يشبهونه إلى حد كبير، فذكر قصة صديقه التي تحرص عائلتها على زواج أبنائها ببعضهم لضمان عدم التخليط، وحفاظا على نسل يعدونه بملاح غير قابلة للتكرار في رأيهم.. بدأ فعلا كتابته، بقراءة نفسية لمعطف البطل، ثم بتحليل فلسفي لحذائه، إلى أن عرج على شاربه: تحليل فلسفي حداثي تماما. أكمل توصيف الأحداث والشخصيات والزمان والمكان ووصل إلى اختيارات الحكمة وضرورات زيادة حبكها..

تكتب يقول الحكمة واهية للغاية بكثير من العبارات الرنانة ومحض هراء،، لماذا في الكتابة فحسب تريد الحكمة المحكمة، أليس حواليك في هذه الدنيا الجميلة حركات واهية وأخرى ضاحكة مضحكة حتى، وعشية تماما.. ههههه.. ألم يقل الحكيم يوما « مات لأنه يموت » ردا على سؤال رائع عن السبب والعلة وحال المعلول .. وكأنه مات كما لم يمت أحد من قبل..

لا أخيار خالصون ولا أشرار خالصون، وليس في الوسط سوى الوسط بالطبع!

قرأت روايات كثيرة جدا، وأتذكر منها ما أتذكر وهناك ما لا أتذكر. هل الرواية العظيمة فعلا تلك التي تقول أشياء عظيمة، أم التي لا تقول حاجات عظيمة، أم تلك التي لا تقول؟!

كتب النهاية فعلا وراح يفكر بعد ذلك في شكل البداية وحجم الحشو. بينا هو كذلك ساءه ما قرأ مما كتب، وأنه لم يلتزم حرفيا برؤيته التي يعيب فيها على الآخرين. استاء أكثر لما حاول مرارا مع كتابة تمثل نفسها دون أن تتمثل غيرها. ليتني أعرف من أين يأتي الأغبياء بالثقة التي تملأ أعضائهم؟ تساءل وهو يخطط لإعادة المحاولة التي اتخذت رقما أفجعه في الحقيقة.

(٣٢)

من يكتب الرواية: الروائي - الرائي - صاحب الرواية - أم هي نفسها؟ من له الحق في روايته؟ العاديون، أو الاستثنائيون؟ الحروف والكلمات والعلامات، أم الحوادث والشخصيات. ما هو واقعي منها وما هو إبداعي. أم مزيج بين كل هذا، أم غير كل ذلك؟

يقول الكاتب هو الأسلوب. هو التجربة. الخبرة. العقل. القلب. هو بصمته. هو الإنسان الإنساني واللاإنساني. لا يأخذ إلا ليعطي. ولا يكتب فقط ليقرأ. آها. فهمت. أي هو كل شيء تقريبا عن كل شيء تقريبا. صح. أي من الكل طبقا لقدراتهم وللكل وفقا لاحتياجاتهم. تقصد هذا بالتأكيد. لا. هو عما يعرف. لا. قلت قبل ذلك إن الكاتب أحيانا كثيرة يكتب ليعرف ما لا يعرف، حتى وإن لزم في البدء أن يحمل الشعلة عاديا من نقطة يقف عليها جيدا أو بعض الشيء،

لينطلق وتنطلق معه وبه الرواية! مممممم، أعتقد أن الصورة هكذا وضحت تماما.

يقول الرواية يجب أن تشد القاريء. إلى أين؟ تمتليء بال جذب المتسلسل والتشويق المتتابع. البطل مثلا ينام مع امرأة ثم ابتتها حين تكبر ويعود في آخر القصة لينام مع حفيدة الأولى.. نعم.. لا. يقول يجب أن تكون رائقة متهادية. يقول ينبغي أن تكون رواية العادي وليس غير العادي. رواية الهامش وليس المركز. لا. رواية الواقع. لا. رواية المفهوم غير المفهوم. لا. رواية منغلقة على ذاتها. بل رواية منفتحة على كل الدلالات والتأويلات.. سهلة بعمق، وعميقة بسلاسة!

لا وجود لكلمة «مجرد» أو «محض» - كحقيقة راسخة محددة - في الحياة بمعناها المعجمي أو الاصطلاحي أو حتى الوظيفي!!! كيف إذن نروي شيئا كما هو أو كما ينبغي أو كما حدث. تجلس لتكتب فتجدك نسيت أشياء واختلقت - أو شبه لك أشياء.

أ يكون الحل في رواية ما لم يحدث. ربما. ولكن كيف سيكون موقفك إذا حدث فعلا لكن بآليته هو التي تعمل غير عملك. وتشعر وتتحرك وتحيا حياتها هي، كما تحب أو كما يقتضيها الظرف!

الدنيا، الحياة ذاتها ليست في جمال مكتمل، لم أجهد نفسي في وصفها وتفصيلها وتأويلها والتذكير بها بدلا من وطء عوائقها الثقيلة أو نسيانها. هل حكايتها تؤثر في شيء مما أحس به من ضيق، وقصور، وبحث لاهث عن عدم اللهاث. هل أثرت رواية مثل هذا التأثير الجلل الذي تحدّثه مواقف الحياة من ميلاد ووفاة وحوادث معجزة أو حتى بسيطة، ناهيك عن معضلة السعادة. والغريب أن كل ذلك لا يزن كثيرا في مقابل السر الأعظم واللغز الأعقد: معجزة الحب - فهي ذاتها لها وضعها الخاص تماما، الذي لا يوصف أبدا كما هو، ولا حتى يُعاش كما ينبغي.

قلت لن أكتب رواية عن فساد العالم والأنظمة والناس. قال عم إذن؟ قلت لا أعرف. لكنني سأحاول أن أجعلها شيئا أهم قليلا من الحَمَام. الحَمَام! نعم. لم تستغرب؟ ماذا تقول يا رجل؟ أشكرك أنك مازلت تذكر أنني رجل. فيك الخير. المهم، ما حكاية الحَمَام هذه؟ يا عزيزي، هل يمكن لأي إنسان أو كائن حي أن يستغني عن الحَمَام الذي يلج إليه مرات ومرات يوميا ولأغراض عدة أولها بالطبع التخلص مما لا قيمة له؛ حتى لا يتأذى الجسد ويتسمم؟ يا حبيبي لا تكن ماديا هكذا. لستُ ماديا بل واقعي. لا تتدنّ بالفن والإبداع إلى تلك المنحدرات؛ قل لي ماذا عن

الروح والوجدان والشعور والوعي واللاوعي. قلت أرى كل ذلك لا علاقة له مباشرة بالرواية تحديدا، أو غيرها، بل بكل شيء. كل شيء! كل شيء هو كل شيء. لا الجزء ينفع مكان الكل أو يعوضه، ولا الخديعة والوهم يقيان طويلا مهما حملتا لافتات مراوحة!! لا، بالتأكيد يقيان إذا أحسنت التصرف، وإذا ساعدك البعوض بالمشاركة في إتقان المص!! لا!!!، أنت ما زلت تهذي وأنا سئمت الكتابة فعلا. أف. ما الذي يجعلهم يُسكِّرون الملاهي الليلية نهارا؟؟ ومن قال لهم لا تفتحوا فروجكم إلا بعد صلاة العشاء بكثير. أو ووقفف. ماذا يحدث لو صارت الشوارع والمكاتب والبيوت كما هي فحسب؛ أندية للتعري الحقيقي، وبصدور رجة طازجة؟؟!! للمرة الأولى في التاريخ تقول كلارا لـجيمس: بص، سييك م الهري دا، اسمع كلامي، أنا عارفة مصلحتك أكثر منك على فكرة. هات بوسة بقى!!

مش عاوز. يعني مش هقولك عندي زهد بس ممكن تسميه اكتفاء، رضا. تعفف. حرج، مش فاضي،، أي حاجة يعني!! وهكذا كان رد السيد الغربال شبيه الدف المثقوب؛ حتى ينقي الموسيقى جيدا من كل الحاجات لاسيما النغمات المضطربة!!

(٣٣)

سيقول النقاد وغيرهم: هذه الرواية مثل سابق أعماله،
ليست كبقية الأعمال. تشبهه وتشبهنا. كما لا تشبه أحداً أو
شيئاً، أو حتى تمثل أي حاجة!

مجرد علوق. صدقني. التشهير يُنْشَبُ فيك بأية تهمة كدود
أسود يعيش في الماء الآسن ولا يتغذى إلا على الدم والسواقط
والعوالق والهوام والعوام. هههه. ليت الكلام كان كذا وكفى.
نعم. كل منا له حياته الطويلة والقصيرة السرية والمعلنة
الضيقة والشاسعة الدقيقة والغليظة، هذا إن لم تكن له حيوات
من ذوات الطبقات المستغلقة والتركيبات المتعالقة!

أكتب لا لأؤمن بحسن نية المرض ونبله؛ أو لأصارع
المعطلات عن الحياة وعن الموت. الحقيقة وأنا أكتب أحب
حيناً ما أفعل ثم أضجر منه كثيراً. أخشى أن أنتهي منه
فأنتهي. أفرغ. أنتحر.

رغم ذلك، ينبغي أن أنهي الرواية بأسرع ما يمكنني؛ حتى ألتفت بجد إلى الحياة. حياتي.

صديقي. من فضلك، هل انتهيت. جيد. يعني تم كل شيء. (أصدقاءه أطباء وكيميائيون..)

نعم. جهزنا المواد التي ستحفظ الجثمان. بقي الصندوق الشفاف الذي سيتهي هذا المساء. بالمناسبة، أحب التأكد منك؛ أنت رفضت تماماً أيا من أساليب التحنيط. حفظُ فحسب. هاه.

لا. حفظ كل شيء. كل شيء. أرجوكم احرصوا عليها برقة فهي أمانتي. لا أصدق حتى الآن أنني تمكنت من إبعادها عن هذا المستشفى اللعين. ثلاثة وoooo. أووووف. لا أصدق. كيف لي بشركم. أتم أصدقاء بحق. لا تقل شيئاً يا جيمس. كفى. المهم أن تكون مطمئناً..

لا. يا صديقي ذهب كل شيء معها. كالاراهي كل شيء.

لكن الزمان يداوي الجروح والحياة مستمرة.

ههه. مستمرة في التوقف..

هوّن عليك.

طيب - ءهل يمكنني فتح الصندوق ولو قليلا لألمسها.
أُقْبِلُها.

جيمس. أرجوك. اجمع شتاتك وكن حذرا إلى أبعد درجة.
من فضلك التزم كل ما قلناه لك وإلا واجهنا صعوبات كبيرة.
من يدري ما الذي قد يقع. اتفقنا! يا أخي يكفي أنها ستبقى
معك. تراها كما تشاء، تحدثها وستسمعك صدقني. هي
تعشقك. أنت قلبها وروحها ونعرف جميعا أنها قلبك وروحك.

حاضر. سألتزم!!

المهم. لا تنس أرجوك. الليلة سننقلها إلى بيتي. بيتها.
غرفة نومها، بين ملابسها وحاجاتها كما اعتادت، وكما كانت
تحب أن تبقى. لعل كل شيء يَختَم بسلام. أشكركم ثانية. ولن
أوصيك.

كلارا. تذكّرين يوم كنت أضبط لك التنفس. الأكسجين.
درجة حرارة الغرفة في المستشفى، أساعد في تعليق المحاليل
وإزالتها. في تعديل جلستك. والعناء الدائم في البحث عن
الريموت.

ها نحن الآن في بيتك. بيتنا. غرفة نومك. نومنا. على
سريرك. في المكان عينه الذي اعتديته. ههه، جانب السرير
الأيمن الذي لم يَحُلْ لحظةً من شذاك/ي.

ها نحن الآن معا وسنظل. أتجبن أن أفرد لك الستائر،
أو أخفض الإضاءة قليلا. نامي حبيتي ولا تقلقي أبدا. أنا
هنا. أي وقت ستجديني. أتودين فنجانا ساخنا من أعاجيب
الأعشاب التي أخلطها لك وتريحك. أو كنت تبحثين عن أي
شيء يرضيني فحسب. هل كانت تلك الأعشاب تريحك حقا.
لا تخفي شيئا أرجوك. هل كانت مفيدة فعلا أم كنت تجبرين
كسوري وقصوري!

حاضر. لحظة واحدة وسنسمع معا كل الأغنيات والموسيقى
التي نحبها. هاه. إذا أحببت أن نرقص كذلك فأنا جاهز. هيا
بنا.

أووه. كدت أنسى. لحظات - أذهب لإحضار الفنجان
السحري وأعود بسرعة. هاه. لا تنامي. وعد. بسرعة
الصاروخ أنطلق. نعم. هكذا. استمري في الضحك حتى لا
تنامي. اتفقنا! ولتتقني تماما أن كل ما يحدث مهما كان - لا
قيمة له من غيرك يا حبيتي. اضحكي حتى لا تنامي..

ههه، يااااا. ليس في الدنيا كلها ما هو أحلى من هذا
الصوت. صوتك أنت. صوتك، وأنت. لكن، أهم شيء
الالتزام! هاه. حاولي أن تكوني حذرة - فأنا أراقب كل ما
يحدث خلف ظهري.

يجهز الفنجان، وشريط حواراتها قبل الأخيرة حي في أذنيه وعينه، مبهج بوجع.

شديا معلم سامعك، بس دي تقطع النفس.

ما انتي عارفة يا بيتي قلت أجرب السيجارة الإليكترونية دي عشان متعبيش.

آها،،، منحرف وسهران. طبعا ما القطعة مش موجودة يا قط.

كنت عاوزه اروح فيلم لافينج فينسنت. يلا بينا يا روجي أنا حجزت تذكرتين. إلهي كل اللي نفسك فيه يتحقق بالحلاوة دي. يا سيدي يا سيدي. ربنا يراضيك دايما يا حبيبي يا رب.

انت كويسة! صاحبة أكلمك. أنا قلقان عليك ووحش خالص من غيرك - محصلشي اني افتقدت حاجة أو شيء كده أنا مش كويس. أنا زعلانة، وتعبانة جدا وبصوت م الوجع لغاية ما جبت حقنة مسكن، وحاسة اني عاوزه ابعده عن كل الناس والدنيا بحالها. أنا حاسس بيكي والله، عشان كذا أنا مصدود ومش مركز ومش مرتاح وقلقان عليك أكثر من نفسك والله، كل اللي ف دماغي حاجات زي الزفت. مش عارفة أرد. حاولي بس ترتاحي، متعمليش حاجة. فضي دماغك، ولو عاوزه أعمل لك حاجة قوليلي. مبتفضاش،

وساكتة على طول. مش مهم متعبشي نفسك. معلش ارتاحي
ونامي شوية. صحيتي!! بصحا آهوه يا حبيبي. اقفش، ما
انت صاحي اهويا عفريت وبتزاول العفاريت. نايم يا قانطا،
وربنا كنت عاوزك تاكلي معايا من الشُّنْبُح وطن البطاطس
المقلية الي لسه عاملهم. بالهنا يا حبيبي بس ايه الشنبح ده؟!
ازاي تقبل اني أندمج في جو كله قمار وشرب ومسخرة.
مثلا. لازم تعرف إني أهم من وفيق وملك وكل الباقيين. مين
دول؟! أنا قانطا. وجوزي من طنطا. قادرة تتكلمي. حواليا
الناس. أرجوك إوعى تغير، متقلقيش انتي ف منزلة أختي
متهريش م المسؤولية. طب استنى. احنا لازم نقف جنبه. لما
اقوم. انتي بصفتك زوجته وانا بصفتي الزبال. مم، لا. لا
متقوميش، انا عم بهرج، متعبيش نفسك. حاضر.

الزوجة العاقلة المخلصة لازم تدوس على كرامتها ف سبيل
كرامة جوزها. ماشي. العزبة فيها مشاكل كتير ولازم نلحق
نبيع المواشي قولي ماشي. طيب. قومي بقى اعمليلي بطاطس.
طاطس. أنا جعان ومكسل، لازم الست تتنازل شوية عن
بطاطسها عشان خاطر جوزها. بينا على بطاطس أند زلايبة.
لا ياعم، أنا مش هتحرك، أنا بصفتي الراجل هقعد في البيت
واستناكي وانتي جايها معاكي، الست لازم تضحي. أوو
بيبي. الست لازم تأكل جوزها أول ما يقول واااء قصدي

جعان. لأ يدخل ينام. بصي يا اسمك ايه، أنا الدنيا علمتني حاجة واحدة بس. إحنا ملناش زهر يحميننا، فاهمة يعني إيه. إحنا ملناش زهر يحميننا. إيه الفيلم الواقع اللي بتشوفه؟! إحنا ملناش زهر يحميننا، العالم دا كله زي الشنبج. إيه! اخرس يا وقح، إيه الي انت بتقوله ده، أنا عاوز زيواشمعنا هوا. أنا غلطان إني حكيتلك الي حصل. عشر تاشر سنة في المدارس وفي الآخر مش عارف أكل بطاطس. انت مش غلطان. لأ غلطان. إحنا ملناش زهر يحميننا. إحنا ملناش زهر يحميننا. بيت صغير فيه جينة لوحدها. لو راجل اشربها وخليك قدها. اسكت. مع إني والله يا ابني شايف إن الموضوع يستاهل أكثر من كدا. يعني مش مخلص حاجة. كدا تكسر بخاطره. افتح يا ابني متنشفش دماغك. أنا نمت.

حبيبي صباح الخير. بيبي كلت؟! الووو. انطقي. مين الي غلط معاكي الغلطة السودا دي، مفكرتيش في أهللك، في مستقبلك، والا هتقوليلي إنو عشمك بالجواز. أنا نويت افضحك قدام جمهورك وأعرفهم مين زنوبة بتاعة المخ واحكيلهم نجمة المسرح الكبيرة ازاى أصلها بتاعة كبده. الرفاق حائرون يتساءلون: هل إنتي بتاعة مخ أم كبده؟ عليا النعمة أنا متأكد إنك لا كلتي دي ولا دي يا قانطا. أنا مستحملتش ونمت. بحبك. تصبح على خير. كان نفسي

اسمع صوتك. آي ميس يو. أنا بقى بحبك برضك شوية
يعني.

الحلقة الي فاتت دي معادة. هتاجي، بتعطيش الجيم. آه.
والله على راحتك. مش بزعل، فكر وجولي. بتحرجني بالذوق
يا بروطط. وحياة النبي لا. هاه، اتصل بقى؟ لأفكر وانا
هستحمى. عشان هاخذ وقت، ونتكلم لما أخرج. شوفتي،
بدخن آهوه. طيب. هقوم استحمى بقى والنبي. شفتي فوايد
الأعشاب. طب كويس. فوايد عظيمة. يللا، هقوم، باي. يللا
ايه يا عفريته؟! هكلمك. بتطرديني. آه، إنجز. إخص، احنا
لازم نسيب بعض، أنا خلاص مليش شوق فيكي، أنا بحب
محروسة بنت عم إمام العجلاقي. ممتاز. بس هيا مش موافقة.
اقنعها، باي. هكلم أختها أنهار عشان تميل دماغها. هایل.
بحبها أوي أوي أوي. العجلة. حقيقي بحب العجلة. إنتي لازم
تدلي على حبك ليّه. أنا قايمه بجد أنا عايزه اقوم استحمى.
أنا عاوز هدية، عربية خضرا مخططة بالطول، عاوزها دلوقتي
وإلا تبقي مش بتحيني، أنا كنت شاكك فيكي انتي والواد
خليل الفص، شفتكو بتشمو مع بعض من تسع سنين. طيب.
طيب. طيب. إبقى خللي الدنف ينفعك، مسيرو هيتيسك، أنا
بلغت عنو، وهياخدو منو التاكس كمان، شوفي بقى هيصرف
على مزاجك الاغبر منين. آحبييتي يا محروسة. عشان خاطري

سييني بقى يا بيبي. بص. يلا ارتاح شوية إنت تعبان بقالك
كثير - يلا بقى علشان خاطري، وانا هخس آخد دش.
بحبك. قالها وهو مازال يجهز المشروب في مطبخها.
وانا. كمان. بحبك. قوي. أوي. قالتها بشفتيها الذاهبتين.
كل كلمة وحدها.. دون صوت.

(٣٤)

أوشك على الانتهاء من الرواية. ياااااه. أخيرا!!

يكتب ساعات على ورق بعض مسودات وعناوين، لكن الأغلب والضروري له استخدام اللابتوب الذي يراه يوفر خيارات لا يقدمها الورق الذي تبدو محدوديته الطبيعية رغم جمالها. ضغط زر الحفظ. ثم أراد أن يكافئ نفسه باحتفالية ليس لها مثيل. فنام.

الصفقة أن ينام قرير العين للمرة الأولى منذ كثير، دون بال منشغل. يرى أنه وقي بالجزء الخاص به في تلك الصفقة. لكن منذ متى كانت كل الصفقات ناجحة، بل عادلة؟

صحا وارتدى ملابسه ليلتقي أي أحد بأي حانة. لم يفكر لحظة أن يضرب موعدا مع أحد معارفه. لا يرغب في الكلام الذي يسميه «حمض البَيْضِيك» أو «نترات الهاموش» ..

اتجه إلى أول حانة قابلته. ارتاح حيث انتهى به المجلس.
وبدأ في عِبِّ الطلبات.

كان معه جهاز اللابتوب الصغير الذي اعتاد التحرك به
لِيُسَوِّدَ فيه كل ما يكتب. لونه كان مشابها جدا للون الطاولة
التي ارتاح عليها، حتى أنه لا يكاد يتميز عنها وهو مغلق.
عَبَّ عَبًّا واستمر. فَكَّرَ أن يراجع ما كتب، خاصة وأنه
مسح بعينه المكان فلم يُثِرْهُ شيءٌ أو أحد.
فتح الجهاز ووصل فعلا إلى نتيجة مُرضية..

واصل ما يفعل حتى ثقلت عيناه من التدقيق والتركيز
والتفكير الموجه، والعَبُّ طبعاً!!

وَأَزَى بين كل جرعة كحول ونفثة نيكوتين بكل ما أوتي من
حس العدالة الجائرة، إلى أن بلغ مرحلة ما قبل النهاية.

جاءه النادل يصفى الحساب - ويطمئن بالمرّة على زبونه
الجديد - . قام جيمس متكئا على الطاولة، وكاد يسقط، بينها
لا يرى أمامه - ينظر في الداخل فقط، وفي ما وراء.

خرج من الحانة وأشار إلى أول سيارة أجرة..

أدار المفتاح في باب الشقة ورمى جثته على السرير، ولم
يُعَقِّب!

استيقظ على صوت الهاتف بعد نحو خمس ساعات فألْفَى
صداعاً غريباً.

ألو. أيوه، أنا تقريباً خَلَّصْتُ. لأ، تقدر تقول خَلَّصْتُ فعلاً
وخلَّصْتُ تماماً. ههه.

طيب نتقابل. اتفقنا.

يووووه، مش معقوله أبدا الحكاية دي. لازم أشوفلي حل.
آخد دش الأول، وأكل أي حاجة بسرعة وأروح للبيه يمكن
يخلي عندو دم المرة دي ع الأقل.

جهز نفسه وراح لجلب اللابتوب. وبينما يعقد أزرار قميصه
يجد في كل مرة زرا زائدا، وآخر تم ترحيله! كرر المحاولة لكن
دون جدوى ظاهرة.

الله، هو فين. يمكن أكون حطيته هنا والا هنا. يووووووه
على دماغك. بحث سريعاً، وبعد ذلك - مذعوراً، فلم يجد
شيئاً. حك جبينه بيمينه؛ فقال: احتمال نسيته في... الحانة،
الطاوله..

طب هي فين بالضبط. أكيد قفلوا دلوكت. بس كمان انا
معرفش حد هناك م اللي بيشتغلوا. يا ريتني رحت أي حته
م اللي كنت متعود أرمي نفسي فيها. أووووففففف. أعمل ايه
بس!!!

أغلق الباب على يده ممسكا آنية ملتهبة حتى دعه
ديناصور - بينما شرعت النحلة في لدغه. ردد: حظي يبدو أن
سيظل هكذا.

(٣٥)

أنا جيمس؛ أي روبين وويليامز الذي أذهل العالم بخبر انتحاره بعدما أذهلهم بموهبته، وقدرته. وعندما أذهل نفسه بما لا يحتمل؛ أذهل الجميع - بأن ترك هذا كله وتركه هذا كله. بعبارة أسهل: هذا، ترك كله. وكُلُّه، ترك هذا. بساطة، حادة. الأمر - في منتهى السهولة، والذهول؛ تذهب، وخلاص! أرايت .. أنت فطينٌ بالسليقة. أنت فصيح. أنت رائع. أهلا بك إذن في جمعية الشعراء الموتى، وإن لم يعجبك الحال ابدأ فوراً في كتابة يوميات بابا الشغالة قبل أن يجد عملاً آخر في مكان آخر، ولن تدري.

كل شيء بأوانٍ يا أصدقاء. فهذا جسرُ البوابة الذهبية في كاليفورنيا؛ كما تشاهدون، مُعلَّقٌ، يمتدُّ، ويتمدد. الجسر المُلَـقَّ يمتد فوق. الجسر المعلق يمتد فوق فم خليج سان فرانسيسكو. رقم قياسي جديد يحرص المكان على تحقيقه كل

عام. هنا ينتحر المنتحرون، ويحاول كُلُّ بقدر مهارته. العدد يزيد، والغضب يتصاعد بسبب عدم وجود شبكة أمان. نعم، الجماعات المدنية والسلطات تقول:

إن الحصيلة تؤكد مدى الحاجة إلى تركيب شبكة أمان تجعل الأمر أكثر صعوبة على أولئك الذين يريدون القفز عَلَنًا. شبكة أمان على جانبي الجسر. نعم، شبكة أمان؛ الحل الذي طالما فشل العالم في التوصل إليه للقضاء على المنتحرين. أخيرا، وجدناها. نُركَّبُ شبكةَ أمان، ويقف أحدهم بمكبر صوت ينادي:

لا تقفزوا أرجوكم. القفز عادة وغالبا سيودي بحياتكم. لا تقفزوا. انتظروا أرجوكم. انتظروا شبكة الأمان. انتظروا. انتظروا. فيم العجلة يا أولاد الـ.. اللعنة على الديمقراطية والدولة الحديثة وقيم التحضر التي تضطرننا للفزح من غرف نومنا لنحرص على حياة من لا يحرصون على حياة - لنكون أقرب إليهم من خريت الميجور عزرائيل؛ لتضاف إلى أعبائنا أكوام الزبالة هذه!! انتظروا. انتظروا لَعَلَّنَا لا نلحق بكم؛ ونُخَلِّصُ الكوكب من أمثالكم بأيديكم أيها الحمقى. أعبأونا كثيرة. أعبأونا لا تحتمل. فراغ. بحق الإله إنه لفراغ وعبث، آه. آآآآخ. انتظروا. انتظروا يا أطفال، بابا حالا يأتي، لا تخافوا. فقط، انتظروا. كله سيبقى تحت سيطرتنا. انتظروا. ألا تعرف أجيالكم الصبر!!؟

بالمناسبة؛ ههه، ألم أحك لكم عن الأم والأب؟!

«نحتاج ناكل يا طيب، نحتاج ناكل يابا»

رَكِبَتِ القطار بملابس كالمهرجين. كالغجر كالحضارات
البائدة كقطعان أفراس النهر. مَدَّتْ يَدًا لكل مسافر، لكنه
الذي لَمْ يَفْظَنْ أَنَّ الغريبَ لَا ينجذبُ - سوى لغريبٍ،
وغيره!! وَأَنَّ الحياة: هي كل شيءٍ واقِعًا، ولم يقع!! هي عربة
إسعاف، عربة إطفاء، عربة تَسْوُوق. بائع آيس كريم يتجول
بين من لا أسنان لهم. احتفالات العام الجديد في بداية كل عام
قديم يقول إنه طازج. البيوت الخضراء والحمراء والصفراء
والزرقاء. أشياء جميلةٌ جدًّا في يَدِ الرَّبِّ كما يقول مراسل سي
إن إن الشهير تمامًا، ويستطرد دون أن يسأله أحد: السفينةُ في
عُرْض البحر، وبعد الحادث، ينتظر الأهالي الضحايا. رغم
العمق الذي في الحزن؛ كُلُّ يَبْقَى مُلَوِّحًا. كُلُّ يَبْقَى على البر-
في البحر..

يجلس بكيس القماش على الباب الدَّوَّار، ولا يتكلم. يضع
المارُّون ما يُوحَى إليهم ولا يتكلمون. يمتليء ويفرغ؛ ليمتليء
 ويفرغ. يقف بكيس القماش على باب الدَّوَّار. يتكلم. يضع
العابرون ما يُوحَى إليهم ويتكلمون. يمتليء ويفرغ؛ فيمتليء
 ويفرغ. يجلس بكيس القماش على الباب. لا يضع المارون ما
يُوحَى إليهم. يمتليء ويفرغ، يمتليء، ويفرغ. يجلس بكيس

القماش. يضع العابرون ما يُمَرّ. يكتمل. ينقص. يمتليء.
يفرغ. يمتليء. يفرغ. يمتليء. يفرغ. يمتليء. يفرغ. (ولا ورق
يكفي)

الإجابات تجعلك حكيماً، الأسئلة إنساناً، الحياة أقسى من
أن تعتقد، أو تحتمل.

أنا ك جيمس، وك روبين، اكتشفت أنني أحب أبي وأمي
كثيرا جدا. فهما المقدسان بحقٍ وَحْدَهُمَا. أُمِّي تحبني أكثر وأكثر
وأكثر، وتقول دائما بيقينٍ إنني أحسن واحد في الدنيا. أبي:
يحبني أكثر. ويقول - أحيانا - ويفعل بعضا من أجمل الحاجات
وأعظمها؛ رغم ما قاله لي في النص يوم عنوانته «نصوص
الفصوص في شعر المنقوص: بالكاد، والعِبارة، والمُحكّم» :

(اثنان في واحدٍ أم واحدٌ في اثنين. جدار ما بيني وبينك -
بيننا، يُننى ليُهدم، فيُننى، وينبنى. كنت، مازلت، صالحاً؛ لأن
يريدَ رَبُّكَ - وحدكما (وحده ووحذك) - ما تريد.. تبعدُ عني
أنتَ كثيرا وأنا أبعدُ. أنتَ لقد تموتُ فيّ؛ لكنَّ ابني فيكَ -
يُولدُ.. اسمُكَ في اسمي. اسمي في اسمِكَ. لا تدعُ شيئاً يُعكِّرُ
دورَ بُنوتِي؛ كي لا يكونَ كما يكون!!

أبوء بنعمتي إليك. ألوذ بنعمتي منك إلى ذنبي.. لك
الحرية في اختيار عبودية. هكذا قلت لي، ولم تُقل! لا حقيقة

لك خارج جيناتي. طوقي / طوقك. لا حقيقة لك خارجي.
سأمدك حتى تمتد، كما فعلتُ تظل، وستمتد، لكن ظلالك لا
تعرف إلا شجرة، والشجرة لا تنبت إلا في شمسٍ - بعيوني!!

كنتُ أنظر فيكَ وحولي عند الله ساعاتٍ. لماذا لا نكون ما
لم نكن؟ لماذا لم تكن غيرك؟ أو سرُّباً من الوروار يُطعمني بِذَارِ
الفرح. لم لا تشرب الأرزاق من عرقك؛ لنتوي؟؟ كيف أعيد
تَحْلِقَتِي وأنا إله المسخ؟! لم أكن سوى نزقي، ولم يكن نزقي
يفكر حينها - في غيره. لماذا نكون، ولم نكن؟ الشمس لا تطلع
في الحظ - كما هي - مرتين. الزوايا مراوغة، تدور من ورائنا
أمامنا!! أُخْفِضُ لوني؛ حتى لا أصيب العمر فأنكشف. أَرِنُ
الريحَ بجشتي؛ لأطفو.

هل من قَبْل أن أعرفَ أينَ أنا ذاهبٌ إلى أينَ - ينبغي: أن
أصلَ هناك؛ لألحقَ تشارلي تشابلن / القائل الفاعل؛ حتى
يُعَمِّدني. فكرة واحدة فقط هي الجديرة بالحياة / الانتحار.

أفكر في ليس غيري كثيرا جدا وطويلا جدا جدا، وأكشف
ما خبأه الدهر من الدهشة. لأجلكَ أجلس في مسجد الغرباء
أصلي لهم - كما قلت لي - أقرأ آياتِ سُورِ الخَلْقِ في الخَلْقِ.
أبعدُ نفسي ما استطعتُ عنهم؛ لأقترب..

ما أعدلك! أنت لي، وأنا: لي؛ لست لك.. أنا معي. وأنت
وحدك من معي. فمن معك؟!!

ليس دببي فوق الأرض سوى طَوْرٍ من حَبْوٍ آخر. تعلمتُ
الكلام الصامت لأصيح به في وجهك. لا تذهب. لا تذهب.
إني لا أحمل أبدا هذا الغياب. لا تذهب. لا أتحمل ذا الغياب
قلت. لا يُغَرِّك ما أعمل / ما لا أعمل. مازلتُ صغيراً بعدُ
على كل انشقاقات الدَّهَاب. بل إنني مازلتُ - أَعْرَقُ - في ذرةٍ
حتى يا أبي - مِنْ تراب ! ..)

جميلٌ شعْرُ العرب هؤلاء. ردد جيمس، وهو لا يكاد يحيط
بكل شيء. رغم هذا، عاش أيضًا - عادي. اتصل بأمه وأبيه.
قال لهما: أُحِبُّكما.

هو لا يعرف إلا الحب والحاجات كما قلنا. لذا؛ تقريباً -
كلما رأى امرأة لا شبيهه لها، خرج معها، وقال لها: أُحِبُّكَ..
هههههه

وما زالت الناس تجيء قنابل قنابل وزَرَافَاتٍ ووُحداناً
ويُرمِرون. هكذا هي الحال يا قهرمانه..

(٣٦)

صحيح أن المنطق منطقي أحيانا كثيرة ولا منطقي أيضا. ومنطقي أن كل حاجة هي كل حاجة. وكذلك أعرف أن الحياة قصيرة جدا وطويلة جدا جدا؛ لكن فيها حاجات تُصَيَّرُها أقصر وأطول بمراحل: أنت وحظك. ومهارتك بالمناسبة. نعم، الحاجات سلاسل كتل مركزية لا مركزية. لذا؛ أرغب أن أكون طائرة، أو على الأقل حلبة سباق سيارات أختار فيها كما أحب بين الحلبة ذاتها والجمهور بأكمله وأسراب الجميلات وسائر السيارات والسائقين والجوائز وكل شيء.. بالمناسبة؛ في الحياة عدل - وإن كان كما لا نبتغي أو ينبغي.

لكن، هل يفعل ذلك أي شيء للجرف الجليدي في القطب الجنوبي المكتئب الذي يغني بأصوات مؤرقة. الرياح التي تجوب كئيبانه الثلجية تخلق موجات من الاهتزازات السطحية. هذه النغمات الزلزالية شبه المستمرة تنتج فعلا ما شبهه العلماء بالأغنية الحزينة لمأساة فاتكة ولا مفر.

ألم أقل لكم صدقوني؛ هذا العالم الرائع لا يتوقف عن إثبات جدارته بقدارته أبدا!!

آه. كلما رأيت رضيعا تحمله أمه أبكي: كيف لهذه القدم الرقيقة بمثل هذا الضعف والهشاشة، ومهما كبرت بعد - أن تطأ العالم؛ الحياة، وأخيرا: الموت؟!!! -

هذه الرواية ليست رواية أو لا رواية. من يدري، ولا يهم أيضا.. الكلُّ كلُّ. الحب حب. والحب كلُّ لا ينفي بعضه بعضا قلت.

بالمناسبة، من موقعي هذا يلزم بَعْثُ تحية حارة - إلى الزملاء الذين يعملون لدى رجال الأعمال ولا يتوقفون عن نصرة المظلومين والفقراء والأطفال الجنود وعرائس لحم القش - على الورق.

نعود إلى أحبائنا الذين تدور حولهم مسابقة الليلة: ناس فيما يخصهم: براجماتيون وأنذال وسفلة. وفيما عداهم: قِيمِيُون، وصفوة القلة.

أمامك زيليون اختيار حتى تصل إلى الإجابة الصحيحة. وفيما تقرر، أذهب لإنقاذ صديقي المحامي الذي أشعل النار في ذيله بالكامل ليلفت انتباه النفط إلى خطره على البيئة، وهو نفسه معروف بدفاعه عن قضايا المهمشين والمطلقين

والمجذومين ومرضى الإيدز والسيلان والسرطان والشقيقة والجرب وجنون البقر والمثليين والمتحولين جنسيا وثنائيي الممارسة. الرجل ارتكب غلطة عمره حين سئم النار الملتصقة بمؤخرته ولم يلتفت له حتى ضابط المرور. المهم شعر بالجوع فلملم ألسنة اللهب وخبأها تحت ذراعه اليسرى وولج إلى مطعم في الحي اللاتيني. اشتهى اللحم، فطلب طبق برووتينات البريونات، لم يعرف ساعتها أنها تتراكم في الخلايا العصبية وتجعل نسيج الدماغ مليئا بما يشبه فراغات الإسفنج؛ بل تسبب فقدان الذاكرة وتغيرات في السلوك ومشاكل في الرؤية والحركة. المهم - أنهى صديقي وجبته بسلام. اتجه إلى حمام السيدات. حاول النادل إرشاده ثم إيقافه. غضب الحامي وأخرج له ذيله الأمامي. دفع النادل أمامه وجهه للحائط وظهره مباشرة في طرف الذيل الأمامي - حتى امتلأ المطعم بكم نادل صغير - مشوهين جيذا، وكلهم لأبيهم بالضبط؛ تحت أذرعهم اليسرى ألسنة لهب.

إعرف القيمة جيذا. قيمة القيمة. قيمتك جيذا. قيمة الآخرين جيذا. قيمة الحاجات الأشياء وغيرها، ثم قارن، وأدرك مكانك، وأثرك. أدرك بصدق وإخلاص وضمير حي بحق. كن رجلا وصدق.

أوووووه. كدت أنسى أني سئمت. يجب أن أفعل شيئاً جديداً، وينبغي أن أكون سعيداً.. إذن فلأضع خطة وأصنف ملفات للحاجات. أول شيء لن أفلد شوبرت.. أتكلم عنه وغيره لكنني لست أحداً ولا أنا.

نتكلم عن جاري كاسباروف وتشايكوفسكي وبول ولودفيج فتجنشتاين وشوبرت، وشوبان وماركس، وتروتسكي وشوستاكوفيتش والخليل، وابن فارس، وابن منظور، وابن جني، وسيرجي بروكوفيف، ورسول حمزاتوف وورخانينوف، عمر بن الخطاب، بيكيت، هيمنجواي، بيتر سنجر، جاكلين دوبري، وإميل سيوران وفيلليني وآليخاندرودودوروفسكي، وآرفو بيرت، ربي الجمال، أسمهان، ديميتري هفوروستوفسكي، لينارد كوين، هتلر، نيتشه، شومان، ماركوس أوريليوس، إنجريد برجمان، تارانتينو، إنجمار برجمان، تاركوفسكي، سالينجر، هوميروس، يانيس ريتسوس، شوبنهاور، جاستون باشلار، فيسوافا شيمبورسكا، ترانسترومر، موتسارت، موديست موسورسكي، وغيرهم كثيرين الكسلُ منهم. أيضاً؛ عن نفسي جيداً لما أعرفها كذلك! وعن الواحد، والبيت، وووووووو

لكن بشرط أن أعيش حقيقة ما أكتب بصدق ودقة
وإخلاص ومباشرة؛ أكون عشته بالفعل، وأن أعرف بالضبط
ما أفعل/ أكتب..

مثلاً،

أنا - كجيمس - لست شوبرت أبداً أو أعتقد تقريبا.
لكن ما العلاقة بين العبقرية والنجسية والشذوذ والتوحد
والوحدة. ثم - نكمل..
أوووففففف.

متى يأتي يوم تضع فيه المرأة الصغيرة شعرا مستعارا طبيعيا
لونه ثلجي رمادي، وتمشي في الشوارع رافعة رأسها - مصدرة
وجهها للمقابل؛ لا تخشى سخرية الذبول منها - وبسبب
مرضها اللعين المحرج؟!

الثمرة التي سقطت على الأسفلت غضبت بعدما دعست
المركبات كل زميلاتهما - وتركتها.

(لماذا يصر العالم دائما على إثبات جدارته بقذارته، وأن
يضع عضوه في أدمغتنا وسواها؟!)

الكاميرا على شارع النهر، وتلتقط مشهدا للجبل الذي
يعلق في بالون زهري ويطير معه متخططا. والصوت الذي

(حب شيء أو أحد لا يلغي غيره. إذن: لا خيانة - ببساطة..
تمام)
المهم:

نعم، كنت سأكتب عن هؤلاء وغيرهم كثيرين جدا ممن أحب وأقدر. اعتبروني كتبت! أحب كثيرين جدا قلت؛ إذن عمن أكتب وأترك من؟! سئمت كسلت تساءمت تكاسلت لا فرق؛ النتيجة واحدة. بصراحة كفاية بقى، خلاااااص. أنا فعلا تعبان. حقيقى كفاية..

طيب بما أنكم ستساعدوني، فاعتبروني كذلك وصلت
نهاية الفصل .. هههه، أو على الأقل حتى الرواية كلها، ههههه
لم يجب أن أفعل. أن أقول. ولم يجب أن أعمل جديدا، ولم
ينبغي أن أكون سعيدا؟!!

كثر الله خيرهم، نظموا ندوة لسب الرواية والراوي
والكاتب والقاريء، ودَعَوْنِي. للأسف لم أتمكن من الظهور
وسط هذا الحضور الراقى؛ لأنني كنت مشغولا جدا جدا
جدا جدا. الحقيقة أنني منهك ومنهمك - وعالق في البحث
عن كلارا، وعن مكان نقعد فيه معا وحدنا على راحتنا.

(٣٧)

ما الأصل والفرع؟ وما علاقتهما ببعضهما وما سواهما؟
الأهم والأولى، وجدواهما بالأساس!

هي أسئلة ليست بجديدة عليه، إذ هي الوحيدة التي
صاحبه منذ أيام الطفولة المترددة.

يوما كان في مدرسته المهجين، ومنذ وصوله بات محل
استغراب بسبب ملامحه وما في لكتته من نكهة يقولون ليست
أصيلة؟

أوقاته في تلك الضيعة سجلت أعلى درجات الضيق
والغربة والخرج في حياته بأسرها آنذاك. تقريبا لم يكن يتعامل
معه بشكل طبيعي سوى أقل القليلين وعلى رأسهم كلارا التي
تعلق بها أول ما رصدتها عيناه وهي نفسها لم تكن تدري.

ظلت كلارا حلمه في اللجوء إلى لحظات سكونية وسط اضطرابات لا تنتهي وقتها وفيما بعد. وظل هو يتساءل هل يتحقق هذا الحلم فعلا وباكتمال؟ أم تحقق منه ما احتاجه حيناً.

آلمته بالطبع هذه الذكرى، كعادتها، بعدما ظن أنه تعافى تماماً مما سماه مشاعر الصغار وأفكار البلاء. تساءل ثانية عن أصله وماهيته. صَعَقَ بآله حديث سمعه وهو طفل رده جده بأن لهم جذورا شرقية تمتد إلى أحد أهم العلماء في عصره وكل العصور، وصاحب أفضال لا تحصى خاصة على العربية وتاريخها وحضارة أبنائها. أعتقد أن اسمه. سوات. سويوه. آه. سيويوه. هه. ما هذا، أيكون حرف واحد مشترك رابطاً مصيرنا بأي شكل وفي أي طريق.. من يدري؟!

هو مؤمن بضرورة قتل الابن قبل الأب، أو معاً - وذلك أفضل جداً..

سَيِّراً مع اللعبة، واستكمالا لنشاطه الفراغي؛ رَاسَلَ موقع البحث عن الأسلاف، واستأنف..

قال لنفسه ربما السعي للاكتشاف يحمل طعم تجربة انتقال نحو عالم آخر قد يكون أجمل وأفضل. أو على الأقل هو بعيد. لكن، لماذا أبتعد أو أقرب. ما الفرق الذي سيتشكل إذن؟

في البدء كان الشعر، واللغة، والصمت. والكون قواميس
ومعاجم لا يحويها أحد أو شيء.

ثم بعد ذلك يا صديقتي جاء الناس يزحف بعضهم
ويتقافز آخرون. منهم من يزحف على قدميه، ومنهم على
ركبتيه، ومنهم على البطن وغيرهم على الظهر، وكثير منهم
على نفسه، وليس بقليل من يزحف على لسانه، ولا تنس
كذلك من يزحف على روحه، ويعوي بكلام كالشعر.

لا تغرّنكم هذه الأشكال والصور والحجوم. أنتم جيدون.
صدقوني. «حَظُّ غَيْرِ الْعَادِيِّينَ غَيْرَةُ الْعَادِيِّينَ». حَظُّ كُلِّ
الْعَادِيِّينَ، أنهم في العاديين. «بشطائرهما وشطراتهما» وحظُّ
غير العاديين: أنهم غَيْرُ عَادِيِّينَ!!

مشهد غريب نحو غيره!!

هو وحده. بالتالي عادة يمارس الحياة بشطائرهما وشطراتهما
وحتى شطحاتها. يوما جاع. عادي. لكنه الزاهد في كل شيء،
اشتتهى شيئا لم يطعمه. سمع مرة عن مادة كيمياوية يستخرجونها
من مخ السنجاب الذي توفي تَوًّا - هذا الاحتراز تحدى إرادته
في عدم ملازمة جسد حيوان شقيق - أي لم يقتله أحد، أو
يذبحه أو يصطده!!

المهم، بعدما علم أين المطعم المختص في تقديم مأكولات نباتية تستخدم تلك المادة الخام، ذهب. المشوار طال إلى المشفى القريب، حينما فاجأته إغماءة، هو ذاته لا يعلم جراء ما أكل مباشرة أم مجرد عقاب نفسي ذاتي لكسره عهده وعاداته!!

هو في المستشفى والأطباء يحاولون إتمام ما يحتاجون من أشعة وتحاليل وفحوصات، لأن ما رأوه لم يروه من قبل!! اضطراب دماغي نادر ومميت، قرأنا عنه مرة لكن لم نخبر حالة مشابهة.

رئيس فريق الأطباء يشرح نتيجة الكشف: ذكّر في منتصف العمر، جاء بعدما اتهم أدمغة سناجب، ويقال إنه كان في رحلة صيد!! المهم هو يعاني انخفاضاً في قدرات التفكير وفقدان الصلة مع الواقع، كما فقد الرجل القدرة على المشي من تلقاء نفسه - صدقوني.

كشف التصوير بالرنين المغناطيسي لرأس الرجل - خاصة السائل الدماغي الشوكي - أن فحص الدماغ بدا مشابها لما شوهد في أشخاص مصابين بمرض دماغ قاتل تسببه بروتينات مُعدية تتلف المخ..

أحيلنا هذا إلى جنون البقر! يتساءل الطبيب الرئيس أمام أعضاء الفريق..

كذلك من غير الواضح ما إذا كان الرجل قد استهلك دماغ السنجاب بأكمله أو اللحم السنجابي فقط الملوث بأجزاء من دماغ السنجاب. طيب، هل للوراثة دخل!!

الواضح أنه اضطراب عصبي، موهن، يتقدم بسرعة وينتج عنه الموت خلال عام واحد من التشخيص.. ولا علاج له!! كالعادة ههه

وبتواصلنا مع مركز السيطرة على الأمراض والوقاية منها، ومع اختبار نسيج الدماغ بعد تشريح الجثة - تبين أنه يمكننا الآن رسمياً تأكيد الوفاة بالفعل، مع التوصية بعدم الدفن.

لاحظوا معي أصدقائي أننا أجرينا له عملية، بالتالي، فالمعدات التي استخدمناها ربما تنقل الحالة إلى آخرين إذا نظفناها وطهرناها وعقمناها بشكل صحيح. أرجوكم خذوا حذركم.

كذلك،، من التحديات التي أمامنا عن إيقاع الحالة تأخر التشخيص؛ لأنه عندما يشك الأطباء قد تستغرق النتيجة من أسبوعين إلى ثلاثة، بالتالي، علينا تطوير آليات اختبار أكفأ وعدوى أكثر فعالية، وقطعا، بأسرع ما يمكننا أيها الأصدقاء..

يعني، سمع جيمس كل هذا الكلام وكعادته كأنه ما سمع.
رجع إلى الفندق وارتاح قليلا كفترة نقاهة ثم ألح عليه ثانية
جده الأكبر وبحدة أكثر من كل ما سبق.

أبي أوصاني صغيرا بعدم المزاح مع الصغار لأنهم لوزعلوا
سيكسرون زجاجك بالحجارة!!

الفهرست. هو إذن حيث ينبغي أن أبدأ الرحيل.. بعد ذلك
ربما تتعدد وجهاتي حسب الحاجات؛ لكن يظل الفهرست
القبلة الأولى والأولى، على الأقل لفضله - ألا تلاحظ أنه أيضا
يشاركني وَجَدِّي العظيم حرف السين، أو الـ إس - ههههه.

بسم الله الرحمن الرحيم

وهو ثقتي وبه أستعين

المقالة الثانية من كتاب الفهرست

ثلاثة فنون

في أخبار النحويين واللغويين وأسماء كتبهم

الفن الأول في ابتداء الكلام في النحو وأخبار النحويين
واللغويين من البصريين وفصحاء الأعرب وأسماء كتبهم
قال محمد بن إسحق: زعم أكثر العلماء أن النحو أُخِذَ عن
أبي الأسود الدؤلي، وأنه أخذ ذلك عن أمير المؤمنين علي بن
أبي طالب صلوات الله عليه. وقال آخرون رسم النحو نصر بن
عاصم الدؤلي ويقال الليثي.

قال أبوجعفر الطبري: إنما سمي النحو نحواً لأن أبا الأسود
الدؤلي قال لعلي عليه السلام، وقد ألقى إليه شيئاً في أصول

النحو، قال أبو الأسود: فاستأذنته أن أصنع نحو ما صنع؛
فسمي ذلك نحوًا. ناهيك عن نقط أبي الأسود.

أخبار الخليل بن أحمد

وهو أبو عبدالرحمن الخليل بن أحمد. قال بن أبي خيثمة:
أحمد أبو الخليل أول من سمي في الإسلام بأحمد. وأصله من
الأزد من فراهيد. وكان غاية في استخراج مسائل النحو وتصحيح
القياس. وهو أول من استخرج العروض. كان من الزهاد في
الدنيا المنقطعين إلى العلم وكان شاعرا مقلدا. توفي بالبصرة
وعمره أربع وسبعون سنة، وله من الكتب المصنفة: «العين».
ولم يرَ هذا الكتاب عن الخليل أحد ولا روي في شيء من
الأخبار أنه عمل هذا البتة.

أخبار سيبويه

من أصحاب الخليل

قال شيخنا أبو سعيد رحمه الله، سيبويه اسمه عمرو بن
عثمان بن قنبر مولى بني الحارث بن كعب بن عمرو، ويكنى
أبا بشر، ويقال كنيته أبو الحسن. وسيبويه بالفارسية رائحة
التفاح. وأخذ النحو عن الخليل وهو أستاذه، وعن عيسى

بن عمر وعن يونس وغيرهم. وأخذ اللغات عن أبي الخطاب الأخفش الكبير وغيره. وعمل كتابه الذي لم يسبقه إلى مثله أحد قبله ولم يلتحق به بعده.

وقد قدم سيبويه أيام الرشيد إلى العراق وهو ابن اثنتين وثلاثين سنة. وتوفي وله نيف وأربعون سنة بفارس. وفي روايات أخرى أصغر من ذلك؛ بل كان وروده العراق قاصدا يحيى بن خالد، فجمع بينه وبين الكسائي والأخفش، فناظره في مسائل، وحاكمه إلى فصحاء الأعراب وكانوا قد وفدوا على السلطان، وهم أبو فقعس وأبودثار وأبو الجراح وأبو ثروان. فكان الكسائي على الصواب. ثم عاد إلى البصرة ومنها إلى فارس ومات بها.

وكان المبرد إذا أراد إنسانا أن يقرأ عليه كتاب سيبويه يقول له: ركبت البحر، تعظيما له واستصعابا لما فيه. وكان المازني يقول: من أراد أن يعمل كتابا كبيرا في النحو بعد كتاب سيبويه، فليستح.

اتخذ سيبويه حلقة ببغداد يلقي فيها دروس النحو وحضرته التلاميذ. حلقاته لم تستمر طويلا؛ لأنه كان يعاني حُبْسَةً في لسانه تعوقه كثيرا، تسببت في تسرب الطلاب وانصرافهم تماما. هجر الحلقة واتجه إلى التأليف، فكانت نتيجة ذلك هي «الكتاب».

بالنظر إلى الروايات يعني تستطيع القول مرتاحا - بارتياح قليل لا مبرر له بالمناسبة - إن سيبويه خرج في طلب الرزق ومات في الطريق. طلبه أين وكيف وممن ومتى؟ ههه، لا يهم، الرجل مات. انتهى!

خرج طلبا للرزق والسعة بعدما ضاقت عليه كل حال. رحل ليعيد خلق الرغبة واختبار الدافع والتأثير لحياة، مجرد حياة، وإن كان أفضل أن تكون أفضل!

خرج راحلا فمات في الطريق. إذن؛ لا تقل لي إن مجرد الرغبة والدافع والهدف وغير ذلك ما يحفزك ويقيك في عنق الحياة، ورقبتك!

الفهرست للنديم الذي رشحه العالمون بالبوطن، قرأه وقرأ ما وقع أمامه عن جده. أووو. أعتقد أنه في حاجة هو الآخر لكتابة روايته. لكن، ضع في اعتبارك ما قلت سالفا، وأني لا أريد أو تكاسلت أو حتى فشلت في كتابة روايتي، ما بالك برواية الواحد الذي هو ذاك الرجل، وهو من هو كما يقولون..!

سأكتفي إذن بما عرفته عن أصلي هذا؛ المفترض أو المرجو أو حتى المدعى. الجميل في الموضوع: الكتاب. آه. كتبه أم جمعه. هو أصله أم نقله عن أستاذه أو سابقه؟! قرآن

النحو. كتاب الكتب. ههه. تماما مثل رواية الروايات. إذن هو جدي فعلا وأنا حفيده البار.

الحقيقة أنني مطلوب مني حاجات كشييرة أعملها؛ أهم أو قد تكون شيئا آخر تماما، ربما. لكن اليقيني أنني أنا وحدي من يجب أن ينجزها، ولا بديل لي يحمل عين بصمتي في الأوراق الثبوتية، هههههه..

تصفح المراجع بروح غائبة. أراد استحضارها بالشراب. الفودكا كائن متكائن. مخلوق خالق خلاق. عبد الحاجة وسيد الحاجات. عَبَّ ولم يندم..

سيبويه والكاميرا يتسابقان على الرصيف. ثم على حافة النهر. الكاميرا تقفز. وسيبويه يسير بحقيبة ظهر، في يده اليمنى مصاصة واليسرى سيجارة. في أذنيه سماعات الهاتف المحمول تلعب قائمة أغنياته الملائمة للظرف. يبدأ بـ فيفا فوريفر لسبايس جيرلز أو فتيات التوابل الحقيقية لكن النسخة التي غنى فيها معهن لوتشيانو بافاروتي الله يرحمه. ثم مجموعة أخرى تختلف حسب مزاجه. سيبويه يرى بنتا على السور الفاصل بين نهر العذوبة ونهر الطريق وقد خلقت الرياح من ظهرها تجسيدا لتمثال اللعاب. صدرها يتخيله. المؤخرة تفرض عليه مثلثا يبدأ أسفله نحيفا ويرقى وهو يغلظ، قال مثلث فاتن ما بالك بالسحر الذي في الأمام ولا تراه!!

أکید أن جدي الأكبر كان إنسانا. شاب یا ناس. ارتدت
الفسطان فكان جمالها لا یحتمل، حاولوا أن تتخیلوا أنتم.. ليس
معقولا أن أصفها الآن فقد سئمت الكتابة التي بدأتها منذ
كثیر طویل.

إذا نظرت لما یحدث، لا یشرط أن یكون الشيء مرتباً علی
شيء؛ أحيانا ترى أن شيئاً جاء مبكراً أو متأخراً أو غیره. من
یعرف السيناریو الأفضل؟!

الكاميرا مع جیمس وهو یكلم السماء، والكاميرا علی
السماء وهي لا تكلم جیمس؟ الإضاءة علی جیمس خافتة
قلیلاً، والنور فی السماء یعمي الأعین رغم أن سجاد اللیل
یفرش الأفق!

لو كان هناك إله، وكان الإله مكاني، هل سیبلی حسنا
كحاکم أم سیخفق كمحكوم بالظرف و غیره مثلي؟؟!! هل
لو كان الإله مستيقظاً، لما شعرت بالوحدة السافلة المتغجنة
بالفطرة؟! هل لو كان الإله ليس منشغلاً، لصارت لی مشاعر
خرسانية بامتياز؟! ولما قلت لأي امرأة أحبك وأحتاج إلیك
وأفتقدك كالرضیع المحموم وهي لاتزال تعبت بأعضائها غیر
مبالية؟؟!!!!

الكاميرا على مثلث الريح وهو يتنقل من ظهر عباءة البنت إلى عقل سيبويه بلقطات حية، وسط دخان اللغة وتحديدًا النحو والصرف!!

يجب أن أفعل جديدا، وينبغي أن أكون سعيدا.. قال جيمس وهو يتلقى رسالة موقع الأسلاف التي تؤكد أنه حفيد سيبويه؟ يااااااا. أخيرا. لكن المراجع لم تذكر له زوجة ولا ولدا. ما أدراني وما أدراهم؟! لكن على الأقل، هل لو كان له عقب أَلن يذكره. ربما. ولكن ما أهميته إن لم يكن مهما فعلا. الرجل ذاته الذي وضع الكتاب، يااااا، عنوان عظيم - الرجل نفسه ذهب، وذكره ليس سوى صدى متناسخ تحت سقف الأكاديمية.. ولكن، لو ترك ذرية، المؤكد أنها كانت ستصير نابغة في اللغة، وهذا مبرر كافٍ لي حتى يربطنا معرفيا إن لم يكن سلاليا وجينيا، وجدانيا وفكريا، أو حتى إنسانيا. لم لا؟! من يدري. لكن ما الذي أكد أنه نابغة كأبيه؟! أو وففف.. حيرتي هذه تحتاج كأسا أخرى. عب الفودكا ثانية وظل يقول: من يدري؟! ولكن..

شاعر يسافر ليعمل قاطع أشجار بالبلطة حتى يتدفأ في الشتاء!! ولد يعاني مشكلة في البلوغ ومن ثم التواصل مع العالم. ممممم.. الكتاب هذا يبدو مُهِمًا في الحقيقة.

لكن،، عرب أعراب عاربة مستعربة. مَنْ هؤلاء؟! هم غريبون. ليس يثيرهم عقل العقل ولا قلب القلب ولا حتى دنيا الدنيا وما قبلها وما بعدها!! تصور أن جدي هذا أنا لست حفيده. ذلك العظيم الوحيد لست له الخليفة الحقيقي. هو ليس لي. وأنا لست له. طيب هو ليس حتى له، وأنا لا أعرف إن كنتَ لي أم لا؛ إذن، يبدو أن معضلة التفكك العائلي تلك تضربنا منذ أول زوجين فكرا أن يناما!

نحن مُرَوِّضُونَ بشكلٍ عجيب. مَنْ الوغد الذي فعل الفعلة الخسيصة هذه وكيف ومتى؟ من الدنيء الذي ساعده في اختراع فكرة السرير، واختلاط السوائل والروائح، والتحام الجسوم!!

في درسه أيضا قال: ذلك ليس منكم هو عطية، ليس من أعمال كي لا يفتخر أحد. هأنذا واقف على الباب أقرع. إن سمع أحد صوتي وفتح أدخل إليه وأتعشى معه وهو معي. أراهم أيضا نفسَه حيًّا براهين كثيرة بعدما تألم. ظل يقول: أنا هو الطريق الوحيد والحق والحياة.

ولأن أجرة الخطية هي موت. «لأنه» هكذا أحب الله العالم

الله قدوس .. الإنسان خاطئ .. وهناك هوة عظيمة تفصل بين الاثنين؛ حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن

به؛ بل تكون له الحياة الأبدية، أما أنا فقد أتيت لتكون لهم حياة، وليكون لهم أفضل.

آها..

حين تمتليء الأحداث باللاأحداث؛ أعتقد يحق لنا السؤال كيف سيصير إذن حال كل الحاجات؟!

هههه، وإلى الخبراء الاختصاصيين، لاسيما أصحاب الدرجات الأكاديمية والمرتبات العلمية؛ لا شيء أبداً إذا نظرتم لأنفسكم جيداً أولاً، وإلى من حولكم مثلما ينبغي. كذلك، فضلاً - أعزائي - لا تَغْتَرُّوا بِقَفَّةِ أوراق ورموز وألقاب، وبضعة تصورات زَنيمة!

المهم، بعيداً من سائر غباء العالم وكل ماسات الدم وكاسات الخواء وصوامع التعريفات، وكذلك اللغة الرنانة والعناوين الصفراء والمصطلحات الثلجة والجمل المتزحقة وإعلانات التوظيف والتسوق - بعيداً بعيداً بعيداً،

هل قلت إنها (رواية) «فرصة» للجادين فقط، من الأطفال الشباب الشيوخ؟!!!

(٣٨)

نحن: مُخْلِصُونَ بِالطَّبْعِ. وخائناً بالطبع الآخر.

أنا زهقت.

خلاص..

الحمار أبيض أو أسود وما بينهما

(ختم بداية القرار)

أو ببلوغرافيا الحاجات: وراقاة الحياة، وثبَّت الإنسان في بَظَر

ربما يقولون ليست الخاتمة قوية بما يكفي أو منطقية أو
جيدة. وما أدراكم أنتم بأي شيء!

(الكاميرا تقطع بين جيمس وشاهد قبر لينارد كوين،
وصوت أغنيته يروح ويحيي بوضوح تارة وكصدى متردد
كثيرا..)

Dance Me To The End Of Love

Leonard Cohen

الكاميرا في حركة دائرية ناعمة تتصاعد مستعرضة كل مفردات الفصول السابقة بالتبادل مع فيديو الأغنية ولينارد كوين بين جميلتين إحداهما شقراء عن اليمين وبرونيت عن الشمال.)

كلما مر بأزمة في حياته حاول الاستدفاء بمقولات الفلسفة والأدب بأن الكتابة دواء، تطهير، كشف، بل تعرية، ضوء، صدر، ظهر، بطن، عملية ولادة، خلق، بعث، إماتة، إبداع من العدم، إبداع من الوجود، نشاط تنشيطي، لعبة تضاهي العالم بكل لهوها بنا وفيها. لم يجد شاطئاً للبحر الميت سوى قطع وشظايا وحفلات رمل تشبه غيرها. هي رمل، لا شيء يميزها غير أنهم قالوا هذا شاطئ ذاك البحر. شرع - رويدا - يسجل بلا ترتيب - كل ما يرد على ذاكرته وكل ما كان يحلم به وبعضاً مما لا يتذكره أو يجرؤ على الاقتراب منه..

كلما كتب زاد همه ونهمه. لا يصدق ما يقولون، فعمد إلى قول إنه يكتب سيرته الذاتية. لا ليست سيرة ولا ذاتية. لا، بل سيرة ذاتية ليست بالضرورة لي. لم يصدق نفسه.. قال الأليق إعلان أنني أؤلف رواية كما يفعل الجميع.. (وحين المَدُّ أقول ديوان شعر أو لوحة أو أوبرا أو أوبريت أو حتى مسرح عرائس أو عرض أراجوز جدع).

كلما ظن أنه انتهى شعر بحاجة إلى استئناف العمل، وفي الآن ذاته حاجة إلى بتره في أوقات معينة وأماكن محددة.. (أعتقد وقت الهجرة سأقول هي مجرد طلب لجوء، أو صداقة!).

لما استبد به الملل والكلل، رغم طُغُومِ مُتَعٍ متقطعة، قال فلأنته مما أفعل بأي شكل.. الحياة ذاتها ليست بتلك الدقة، أو الدأب الزائد على الحاجة. كل ما فيها ومن فيها يعرف ما يفعل وأين وكيف ومتى ولا يشترط لم.. بل حتى لا يشترط أن يعرف.. سنن كونية؟ قوانين طبيعة؟ منطق؟ حقيقة؟ عقل؟ علم؟ معرفة؟ ثقافة؟ حضارة؟ دين؟ قيم؟ مبادئ؟ أخلاق؟ تعاليم؟ لوائح؟ علة؟ تاريخ، جغرافيا، ديموغرافيا، معادلات، توازنات، الأواني المستطرقة، والأحداث المُستَطرقة، والأناسي المُستَحَمَقة، والحيوانات المُستَنهَقة، والكائنات المُستَنفَقة.. ههه..

لو ظلمتُ أنتظرُ الكمالَ المُتَقَدَّ المُتَظَرَّ أو النقصانَ العاديَّ المُتَوَقَّعَ، قد أموت. ربما لا أستطيع الكتابة. آه. أو ربما أستطيع الكتابة أسوأ، أفضل، لا أفعل هذا أو أفعل ذاك.. ظل يكرر ما سبق حتى تكاثر فيه تعب الرأس والنفس والروح والجسد، وفي لحظة حسم واستسلام، قرر ألا يكمل الكتابة، وأن يبدأ موسم الحصاد بمنجل، والتقاط الثمار بأسنان المشط..

كلما جمع الشذرات يعجبه شيء وساءته أشياء.. حتى أتم ذلك مرات ومرات لا يقدر على حصرها.. وصل إلى نتيجة أن يختار عشوائياً محاولة في المنتصف؛ لأنها - بتعبيره الدقيق - ستكون في بداية الغريزة، وانطلاق العنان، ونشاط الذاكرة المُستَحَاثَّة، وستجمع إليها نهاية جهد الجهد والاقتراب من تمام التمام وتناول المتاح مهما حدث.. لم تعجبه فكرته التي اطمأن إليها.

كلما ثقل الكلام، أو اشتهى أن يفيض بحكاية أخرى مهما كان مأوها، أحسستُ أكثر بوطأة الحياة ومآلاتها الواقعة والمرتبقة والمُتَمَنِّاة، وافتقدتُ بشدة - حاجتي الأبدية - إلى الصمت..

ظل يستمع للمرة الـ«كم»، لا يتذكر، إلى أغنية **Meiko Kaji** الرقيقة الذابحة من هناaaaaaaaaا - بلاد الشمس المشرقة:

Flower of Carnage - Shura No Hana

عاد إلى ترده بثقة، فقرر الاستمرار في الكتابة بالتوازي مع بدء الكتابة من جديد. وكانت أول جملة خطها:

لا شيء نهاية العالم

ولا أحد.

نهاية العالم: نهايته.

إذن، ينبغي أن أفعل ما يجب..

أبدأ من حيث انتهى -

«ما» انتهى.

هل أبدأ؟!

أكون صحيحاً ما قلته في «فسخ الكائنات»:

لا تفعل الخير - إلا - إذا كان - خالياً - من شر؟!

لا أحد قد يهتم بك في الحقيقة، ولا أنت. يَبْقَى لكنه لم يحدث. السمكة التي لا تُؤْكَلُ قطعاً تموت. الشجرة التي لا تَشْرَبُ لا تَظْمَأُ. يَجِبُ على المرء أن يَكُونَ طويلاً حتى يَرَى عُرفَ الدِّيكِ..

ثم، ما حكاية الكتابة هنا منذ قليل: (لا تَبْدَأِ الخطأً حتى تُنْهِيَ الصواب)!! صدقوني؛ لا يعرف الإنسان نفسه إلا بعد.. نعم، يبدو أنني أفقد بشدة قاتلة - حاجتي الأبدية - إلى الصمت.. والمشي!

تنهد. عاد إلى بعض صفحات الإنترنت المهمة جدا جدا جدا أحيانا؛ التي لم يسعفه وقته وطاقته زمنا ليقراها؛ فأبقاها على وضعها مفتوحة عبر محرك البحث العام الشهير. (هذه راحته الحقيقية المنتظرة - ووجوده الحي المتلذذ ببهجة البلوغ الواصل حدود الحدود - في رأيه على الأقل على ما يعتقد حتى الآن - إلى حد ما، وإلى حين ..). كانت تلك الصفحات في المعظم روابط لموضوعات علمية وفلسفية وأدبية وفنية ونقدية ثقافية وغيرها كلها. ولما آن أوان اضطلاعها عليها، وبها - وعندما صَحَّ منه العزم أخيرا وبشدة تقريبا؛ وكلما وقع على «صفحة» - ظهرت له هذه الرسالة الأنيقة - بشكلين:

(بالمناسبة؛ حين عرف أنهما ليسا شكلا واحدا فحسب شكر الكرم ..

Oops!

Things we can't find:

The page you're looking for.

Things we have found:

Please accept our apologies.

Hopefully these links will get you on your way.

Oops!

Things we can't find:

The page you're looking for.

Things we have found:

Please accept our apologies.

Hopefully these links will get you on your way.

حقوق النشر والتوزيع محفوظة

ببلومانيا للنشر والتوزيع

